بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في كتب التفسير (١)

أهمية التفسير وكيف تعد درساً في التفسير

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فسيكون الكلام بإذن الله –عز وجل– عن مقدمة أذكر فيها شيئاً من أهمية التفسير، ثم بعد ذلك سأتحدث عن طريقة مقترحة فيما يتصل بطريقة إعداد درس في التفسير، ثم بعد ذلك سيكون الحديث عن الكتب التي يُحتاج إليها لإعداد الدرس، وسواء كانت هذه الكتب من كتب التفسير أو من كتب أخرى معينة تبين لنا جوانب متعددة مما يتصل بالتفسير، وقد يدعونا هذا إلى الحديث عن نشأة علم التفسير، ونقتصر على بعض القضايا التي عامة من يكتبون في كتب التفسير يتواطئون على ذكرها، ينقل بعضهم من بعض، فينبه على بعض هذه القضايا من غير استطراد ولا إطالة، ثم بعد ذلك يكون الحديث عن كتب التفسير، ثم بعد ذلك عن الكتب التي تعين من أراد أن ينظر في التفسير، وهي ليست من كتب التفسير، وآخر ما نتحدث عنه هو عبارة عن مقارنة بين كتب التفسير، ونسأل الله –عز وجل– العون والسداد والتوفيق، وأن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا.

أولاً: ما يتصل بمنزلة التفسير وشرفه وهو ذلك العلم الذي فرط فيه كثير من الناس، وقد صار انصراف الهمم لدى الكثيرين، وإنما هو الاشتغال بعلوم لربما تكون من علوم الآلة، أو لربما تكون من علوم الغاية ولكنها لا تبلغ مرتبة التفسير، والكثير صار شغلهم في تتبع متون وكتب ألفها مؤلفون، يفكك كل لفظة ويحللها ولا يتجاوز عبارة من عبارات المؤلف إلا حاول أن يفهمها، فإن لم يفهم ذلك من خلال الشرح فإنه يعود إلى الحواشي، وإلى الشروح، ويسأل من أجل أن يعرف مراد المؤلف من هذه اللفظة، وفي كثير من الأحيان لربما تُحمَّل عبارات المؤلفين ما لا تحتمل، فيقول مثلاً: قدم كذا على كذا من أجل مراعاة كذا، و لربما لم يخطر ذلك له على بال أصلاً، كما نقل عن أحد الأدباء أنه كان يشرح قصيدة لأحد الشعراء، وحضر ابنُ ذلك الشاعر شرحَ ذلك الأديب، فسمعه يقول: قدم هذه اللفظة على هذه اللفظة وقصد بذلك كذا، وقدم كذا وأراد به كذا، فبُهر الابن من سعة نظر أبيه ومن دقته في التعبير، وكيف راعى هذه القضايا حينما ألقي هذه القصيدة، فرجع إلى البيت وهو ممتلئ إعجاباً بأبيه وبقصيدته، فسأله عن هذه الأشياء التي ذكرها هذا الأديب، فقال ذلك الشاعر: والله يا بني ما خطر لي ذلك على بال، وتجد هذا كثيراً في شروح بعض المتون و لربما بشيء من التكلف، ولا شك أن دراسة العلوم النافعة أمر مطلوب، وكذلك دراسة المتون في سائر الفنون أمر حسن، يحمد عليه الإنسان، وبه ينال العلم، وإنما الحديث عندما يكون التركيز والاهتمام والاشتغال بدراسة أصول الفقه، أو مصطلح الحديث، أو النحو، أو دراسة البلاغة، أو دراسة القواعد الفقهية، أو دراسة الفقه، أو نحو ذلك مع الإعراض الكامل عن دراسة كتاب الله –عز وجل–، فهذا أمر لا شك فيه من الغبن العظيم، والله

-تبارك وتعالى- قال عن بني إسرائيل وهي أمة دون هذه الأمة شرفاً ومنزلة: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [سورة البقرة:٧٨]، وقد قال بعض المفسرين: إن المراد بقوله -تبارك وتعالى-:{لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ} أي: لا يعلمون إلا قراءة مجردة من المعاني، فهم لا يعرفون التفسير، وإنما يقرءون كتابهم دون فهم لمعانيه، فعابهم الله -تبارك وتعالى- على ذلك، وإذا كان هؤلاء قد لحقهم الذم والعيب على تفريطهم في كتابهم وعدم علمهم به، فإن العيب والذم الذي يلحق هذه الأمة حينما تفرط بأعظم كتاب يكون أكثر، وقد قيل: "على قدر المقام يكون الملام"، ولهذا قال الله -تبارك وتعالى- عن هذا القرآن: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [سورة فصلت:٤١] ومن عزته ألا تدخل معانيه في القلوب الفارغة المعرضة المشتغلة عنه بغيره زهداً فيه، وإعراضاً عنه فقد قيل: "إنما يفهم بعضَ معانيه ويطلع على أسراره ومبانيه من قوي نظره واتسع مجاله في الفكر، وتدبره، وامتد باعه، ورقت طباعه، وامتد في فنون الأدب، وأحاط بلغة العرب"، وللحرالي -رحمه الله- كلام طويل منه قوله: "وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كتابه، ووعياً عن كتابه، وتبصرةً في الفرقان، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن"، وقول الشافعي -رحمه الله-: "جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا إلى أن قال: وكما أنه أفضل من كل كلام سواه، فعلومه أفضل من كل علم عداه، قال الله تعالى: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [سورة الرعد:١٩]، ويقول: {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [سورة البقرة:٢٦٩]، يقول مجاهد في تفسير الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً قال: الفهم والإصابة في القرآن، ويقول مقاتل: يعني علم القرآن هذه الحكمة، ويقول سفيان بن عيينة في قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [سورة الأعراف:١٤٦] قال: أحْرِمهم فهم القرآن، ويقول سفيان الثوري -رحمه الله-: لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً، ولهذا قالوا في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة))[^1]، قالوا: كذلك القلوب إذا كانت تحمل أخلاق الكلاب فإن الملائكة لا تدخلها بالمعاني الطيبة، فلا تنفتح مغاليق القرآن على تلك القلوب البطالة، يقول عبد العزيز الكتاني -رحمه الله-: "مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكّن من غيله سواه"، والغيل هو الشجر الملتف الذي يكمن فيه الأسد فلا يستطيع أحد أن يقترب منه أو يتوصل إليه، ويقول آخر: "أبى الله -عز وجل- إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن"، وجاء عن ابن مسعود -رضي الله عنه- في قوله تعالى: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} [سورة الفاتحة:٦] قال: القرآن، يقول: أرشدنا إلى علمه، ويقول الحسن البصري: "علم القرآن ذِكْر، لا يعلمه إلا الذكور من الرجال"، وكل علم من العلوم منتزع من القرآن، وإلا فليس له برهان، كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "من أراد العلم فليُثَوِّر القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين"، ونحن نشاهد ونعلم من حال الصحابة -رضي الله تعالى

---

[^1]: (١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٠٥٣)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة -عليهم السلام- لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب، برقم (٢١٠٦).

عنهم- أنه كان فيهم علماء، وكل واحد يختص بعلم من العلوم، فعليٌّ -رضي الله عنه- عُرف بالقضاء، وزيد بالفرائض، ومعاذ بالحلال والحرام، وأُبيٌّ بالقراءة، ولم يُسَم أحد منهم بالبحر إلا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ لاختصاصه بالتفسير وعلم التأويل، وقد أحسن الناظم في قوله في بيان شرف العلوم المتعلقة بالقرآن:

إن العلوم وإن جلّت محاسنها *** فتاجها ما به الإيمان قد وجبا

هو الكتاب العزيز الله يحفظه *** وبعد ذلك علم فرّج الكربا

فذاك فاعلم حديث المصطفى فبه *** نور النبوة سنّ الشرع والأدبا

وبعد هذا علوم لا انتهاء لها *** فاختر لنفسك يا من آثر الطلبا

والعلم كنز تجده في معادنه *** يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبا

واتلُ بفهم كتاب الله فيه أتت *** كل العلوم تدبره ترَ العجبا

واقرأ هُديت حديثَ المصطفى وسلن *** مولاك ما تشتهي يقضِ لك الأربا

من ذاق طعماً لعلم الدين سُرّ به *** وإذا تزيد منه مال واطربا(٢)

وهذا إنما يكون بالممارسة، فالعلم شاق في أوله يصعب على الإنسان الجلوس من أجل حضور مجالس العلم، بحيث يجد فيه مشقة كبيرة جداً، ولكنه إذا اعتاده فإنه يجد له لذة لا تعادلها لذة، ويفتح الله -عز وجل- بسبب ذلك من الفهوم والمعارف والعلوم مالا يقادر قدره، ويحصل له من الأنس والراحة وانشراح الصدر وارتفاع الغم والهم الشيء الكثير، ويجد الإنسان ذلك بالصبر على طلب العلم، وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ} [سورة يونس:٥٨] قال: الإسلام والقرآن، يقول الشيخ الأمين الشنقيطي -رحمه الله- صاحب أضواء البيان: "ما من قلب يعيش مع القرآن إلا وجد حلاوة الإيمان شاء أم أبى، ولكن ذلك حينما يعرف معانيه"، وكان يقول كبير المفسرين الإمام ابن جرير -رحمه الله-: "إني لأعجب ممن يقرأ القرآن وهو لا يعرف معانيه كيف يلتذ بقراءته؟"، فهذه فضائل ومنن يفتحها الله -عز وجل- على من شاء من عباده، يقول قتادة -رحمه الله-: "ما جالس القرآنَ أحدٌ فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان"، {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [سورة الإسراء:٨٢]، يقول الذهبي -رحمه الله-: "مكث شيخنا ابن تيمية أزيد من سنة يفسر سورة نوح، فكان بحراً لا تكدره الدلاء"، ويقول الشنقيطي -رحمه الله-: "لا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام به في جوف الليل"، ويقول أحمد بن أبي الحواري -رحمه الله-: "إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيتحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كتاب الله؟!، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رزقوا"، ويقول الحافظ ابن الجوزي -رحمه الله-: "ينبغي لتالي القرآن أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه

---

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٤١).

ويتدبر كلامه"، وقيل ليوسف بن أسباط –رحمه الله-: "بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ قال: أستغفر الله من تلاوتي؛ لأني إذا ختمته وتذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح، وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال: فلما ختمته أردت الرجوع من أوله، فقال لي: اتخذت القراءة عليّ عملاً، اذهب فأقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يُفهمك منه، واعمل به"، وهكذا كان الصحابة –رضي الله تعالى عنهم-، فقد جاء عن مالك عن نافع عن ابن عمر أنه قال: "إن عمر –رضي الله عنه- تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً"، وكان يستطيع أن يحفظ البقرة في أقل من عشرة أيام، ولكن كان يتعلم ما فيها من المعاني، كما جاء عن أبي عبد الرحمن السلمي حينما ذكر عن الذين أخذ عنهم القرآن من الصحابة –رضي الله عنهم- أنهم كانوا ما يتجاوزون الخمس الآيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً، وكان خلف بن هشام يقول: "ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا، وذكر أن عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه- حفظ البقرة في بضع عشرة سنة، فلما حفظها نحر جزوراً شكراً لله –عز وجل-، وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي، فيقرأ ثلث القرآن لا يُسقط منه حرفاً"، وكلام السلف –رضي الله تعالى عنهم- في هذا كثير، ويمكن لطالب العلم أن يراجعه في مظانه.

هذه جملة مختصرة تنبه على غيرها فيما يتصل بأهمية التفسير، ولزوم الاشتغال به، وأن يفيق الإنسان من الغفلة، والإعراض عن كتاب الله –عز وجل- لأن الهجر للقرآن لا يقتصر على هجر تلاوته بل يكون بهجر تدبره، والتدبر لا يمكن إلا بفهم معانيه، وكذلك بهجر العمل به، والعمل به لا يتأتى إلا بفهمه، ولذلك أقول: ينبغي للإنسان أن يعيد النظر في عمله، وعلمه، ودراسته، واشتغاله، ولينظر في الأمور التي قد شغل زمانه فيها مالا تعدل بالنسبة للاشتغال بكتاب الله –عز وجل-، فإن من أعظم الغبن أن ينقضي عمر الإنسان وبين يديه أعظم كتاب وهو لا يعرف معانيه، ولم يقرأ تفسيراً واحداً ولو مختصراً، ولذلك نجد الأمية في فهم معاني القرآن مستشرية مستفحلة لدى طلاب العلم وغيرهم، تجد الكثيرين لو سُئلوا عن بعض الألفاظ الغريبة في السور القصيرة فإنهم لا يعرفون معانيها، بل لربما يفهم الكثيرون معاني تلك الألفاظ أو تلك الآيات على خلاف مراد الله –عز وجل-، والله المستعان.

كيف تعد درساً في التفسير؟

كثير من الناس إذا أراد أن يعد درساً فإنه ربما يعمد إلى هذا الكتاب أو ذاك من كتب التفسير ثم يقمش منها، ثم يأتي بعد ذلك ويطرح هذه الأشياء بعيداً عن تمحيصها، وبعيداً عن التعامل مع هذه المنقولات والنصوص والمرويات وما أشبه ذلك؛ من أجل أن يتكلم الإنسان بطريقة علمية صحيحة تقوم على أصول وضوابط وقواعد التفسير، ودرس التفسير حينما يريد الإنسان أن يُعد له فإن ذلك يرتكز على أمرين:

الأمر الأول: المادة العلمية المنقولة، وهذه المادة العلمية المنقولة تُستجلب وتستصلح من نوعين من المصنفات، وإن شئت أن تزيد ثالثاً فلا بأس.

النوع الأول: هو كتب التفسير، وهي كثيرة جداً والذي لم يطبع منها أكثر من المطبوع، وهذه الكتب لها طرق، ومناهج تسير عليها، وكل كتاب منها له جوانب يركز عليها، فهذه كتب تُعنى بالجوانب الأعرابية

والنحو، وهذه تعنى بالجوانب البلاغية، وهذه تعنى بالجوانب الفقهية والأحكام إلى غير ذلك، فلابد أن الإنسان يعرف هذه الأشياء، ويعرف أن هذه الكتب منها ما يغني بعضه عن بعض، فبعض هذه الكتب تنقل عن بعض، بل إن بعض هذه الكتب لربما تكون نسخة شديدة الشبه بكتاب آخر نُقلت منه مع بعض التغيرات اليسيرة والإضافات المحدودة، فقد يقتني الإنسان كثيراً من الكتب وليس من المتخصصين في التفسير، وكان بإمكانه أن يستغني ببعض هذه الكتب عن غيرها، هناك كتب لربما تكون هي كتب تفسير لكنها لا تحرر الأقوال، وهي كتب نقل مؤلفها هذا التفسير من جملة من المصنفات كان بالإمكان الرجوع إلى أصول هذا الكتاب والاستغناء عنه؛ لأنه خلا من التحقيق والتعامل مع هذه النقولات بطريقة علمية صحيحة، فهو عبارة عن نقولات مجمعة، وهذه الكتب تتفاوت تفاوتاً كبيراً وسأبين طرفاً من حال هذه الكتب بإذن الله –عز وجل– وأُعرّف بطائفة منها.

النوع الثاني: مصادر تُجمع منها المادة العلمية في درس التفسير وهي كتب ليست من كتب التفسير، وإنما تعين على فهم التفسير ومعرفته، ولكنها تناقش جوانب معينة، على سبيل المثال –كما سيتضح بإذن الله –عز وجل– في حينه– هذه الكتب منها ما يُعنى بجانب الناسخ والمنسوخ، وهي كتب متفاوتة وكثيرة جداً، هناك كتب تُعنى بالأمثال الواردة في القرآن، وهناك كتب تعنى بما هو أوسع من ذلك وهو التشبيهات التي في القرآن، تناقشها وتفصلها وتبين أنواعها، وهناك كتب تعنى بالأقسام، القسم بالقرآن، وهناك مؤلفات أخرى تعنى بالتشابه اللفظي، والمقصود بالمتشابه اللفظي أنك تجد تشابها في بعض الآيات كقول الله –عز وجل– مثلاً في سورة الأنفال: **{وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [سورة الأنفال:١٠]، وفي سورة آل عمران: **{وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ}** [سورة آل عمران:١٢٦] بزيادة لكم، **{وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ}** في الأنفال، وفي آل عمران: **{وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}**، وفي الأنفال: **{إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**، وهكذا في قوله في سورة الإسراء: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ}** [سورة الإسراء:٣١]، وفي سورة الأنعام: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ}** [سورة الأنعام:١٥١]، وفي الإسراء: **{نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم}**، وفي الأنعام: **{نَّرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}**، وفي سورة الكهف لما أراد الخضر أن يخبر موسى –صلى الله عليه وسلم– بحقيقة ما جرى منه قال: **{سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}** [سورة الكهف:٧٨]، ولما أخبره قال: **{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}** [سورة الكهف:٨٢] نقص حرفٌ، وفي سورة الكهف أيضاً: **{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}** [سورة الكهف:٩٧] زاد حرفٌ، فالنقب أشد، وزيادة المبنى لزيادة المعنى، وهذا يسمونه بالمتشابه اللفظي، وبعض الكتب تتحدث عن علوم المعاني مثل حروف الجر، كتب متخصصة بهذا الجانب، وهكذا يوجد مؤلفات تُعنى بالآيات المشكلة التي يشكل معناها، بل إن بعض أهل العلم يؤلف رسالة كاملة في مثل قوله تعالى: **{إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}** [سورة طه:٦٣] لماذا لم يقل: إن هذين؟ وإنما قال: **{إِنْ هَذَانِ}** رسائل مستقلة في بيان وجه ذلك، وهكذا في جوانب كثيرة، وهذا من غير كتب التفسير.

والنوع الثالث: من مصادر المعلومات في التفسير هي تلك المعلومات التي تستجلب من الجرد والقراءات في السنين المتطاولة، فطالب العلم حين يقرأ في السير، والتراجم، وكتب اللغة، وأحياناً كتب الفقه، وأحياناً في

بعض شروح الحديث غير كتب التفسير، يعني في مواضع ليست في مظان التفسير، فقد تجد في ترجمة عالم مثلاً أنهم يقولون في ترجمته كانت له استنباطات لطيفة، ويأتون بدرر، فهذه الاستنباطات التي تمر في ترجمته أحياناً تمر في تعليق على آية في كتاب، وأحياناً في كتاب تربوي، وأحياناً في كتاب من كتب اللغة، وأحياناً في كتب البلاغة، وأحياناً تمر هذه الفائدة واللطيفة في كتاب من كتب شروح الحديث إلى غير ذلك، فهذه تقيدها على الأقل بالإحالة، سورة الفاتحة آية رقم (١) انظر كتاب الإتقان للسيوطي الجزء الأول صفحة كذا وكذا، وانظر كتاب البرهان للزركشي، وانظر المدخل للحدادي، وانظر كتاب الأمثال، وللإمام ابن القيم –رحمه الله– نفائس في الكلام على بعض الآيات، فجُمعت وخَرجت كتاباً حافلاً بالفوائد والدرر، وتفسير شيخ الإسلام جرت عدة محاولات لجمعه، والآن سيطبع كتاب قد انتُهي من تنضيده ومراجعته في تفسير شيخ الإسلام لا يقل عن ثمانية مجلدات، حاول من جمعه أن يستقرا كلام شيخ الإسلام فيما تناثر من مؤلفاته وكتبه –رحمه الله–، فالشاهد حينما يقرأ الإنسان في كتب شيخ الإسلام أو يقرأ في كلام ابن رجب، أو يقرأ أحياناً في بعض اللطائف لابن حجر، الحافظ ابن حجر كان له درس في التفسير حافل يحضره العلماء، وكان من شرطه في هذا الدرس ألا ينقل شيئاً من كتب التفسير، بمعنى أنه كان يستنبط، يقول: الذي في كتب التفسير أيُّ واحد يستطيع أن يرجع إليه، فكانت استنباطات واستنتاجات، فهذه ثلاثة مصادر يمكن أن تجمع فيها المعلومات، فإذا جمعت المعلومات بهذه الطريقة –بالاستقراء– وأنت تقرأ تقيد هذه الفوائد والدرر والنفائس، ثم جئت تطرح درساً في التفسير تجد هذا الدرس مرصعاً بالجواهر والدرر واللآلئ التي لا تجدها في كتب التفسير، هذا فيما يتعلق بالمصادر، أما ما يتعلق بالناحية العلمية التي يحتاج إليها من يريد أن يعد درساً في التفسير فيحتاج إلى آلة يتعامل فيها مع هذه المعلومات، هذه المعلومات كثيرة جداً في كتب التفسير وفي غيرها يجد مرويات متعددة، ففي سبب النزول روايات أحياناً صحيحة لربما يجد في سبب النزول خمس روايات صحيحة ثابتة ومتنوعة في سبب نزول الآية، في مثل قوله تعالى مثلاً: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ} [سورة البقرة:١١٥]، صح في أسباب النزول أن ذلك حينما التبس عليهم القبلة، وصلوا في ليلة مظلمة لم يعرفوا فيها القبلة، فحينما أصبحوا سألوا النبي –صلى الله عليه وسلم– فنزلت الآية، إذاً هي في الذي يخطئ في تحديد القبلة، وكذلك صح في أسباب النزول أنها رد على اليهود حينما قالوا: {مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا} [سورة البقرة:١٤٢]، فالله –عز وجل– رد عليهم بهذا: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}، وصح في أسباب النزول أشياء أخرى، فكيف نتعامل مع هذه الروايات؟ هل نأخذ برواية ونترك الباقي؟ أو نقول جاء في رواية كذا، وجاء في رواية كذا، ونورد الروايات كلها؟ لكن المستمع يريد أن يعرف ما هو السبب الحقيقي للنزول، فإذا كان عند الإنسان آلة، بحيث يكون عنده قدرة على التعامل مع هذه المنقولات من الروايات وغيرها، ويستطيع أن يجمع بينها أحياناً، ويستطيع أن يرجح في المقامات التي تحتاج إلى ترجيح فيخلص هذه القضايا، ويَنتجُ عن نظره هذا في التفسير خلاصةٌ وأقوالٌ محررة، ومعانٍ واضحة، ويفهم عبارات السلف، والسلف أحياناً يعبرون بجزء المعنى، وأحياناً يفسرون بالمثال لتقريب المعنى، وأحياناً قد يفسرون بتفسيرات قد لا يقصدون بها الحصر وإنما هذا بعض ما يدخل في معنى الآية، فيحتاج أن يعرف طريقتهم، ويتعامل معها ولا

يتسرع في رد أقوالهم وتخطئتها، ثم هو يستطيع أن يحكم على أقوال المفسرين متى تكون هذه الأقوال صحيحة، ومتى تكون غير صحيحة، فعلى قدر تمرسه، وعلى قدر قدرته وعلى قدر ما يكون عنده من القدرة على تحقيق التفسير والفهم والاستنباط، والإضافة، والترجيح، فيتعامل بمهارة، هذه الآلة، لكن كيف يحصل للإنسان وجود هذه الملكة؟، تأتي هذه الملكة من دراسة اللغة العربية بعلومها المختلفة، وأصول الفقه، وأصول التفسير، علوم الآلة مع الممارسة، فإذا درس ذلك مع التطبيق فإنه تحصل له ملكة وذوق في التفسير، فيأتي تفسيره في غاية الجودة والتحرير، والواقع أن الكثير مما يطرح في كتب التفسير أحياناً في بعض الجامعات والكليات وما أشبه ذلك تجمع الأقوال من بعض الكتب، ثم يقول: قال فلان، وقال فلان، يجمع الأقوال، ويخرج المتعلمون كما دخلوا، حتى لو حفظوا هذه الأشياء فإن مصيرها إلى النسيان، ولو بعد حين، لكن حينما يتعامل مع التفسير بهذه الطريقة، وتتربى عند المتعلم ملكة في درس التفسير فإنه يتذوق هذا الفن، ولا يشبع منه بحال من الأحوال، لكن للأسف درس التفسير في غالب الأحيان لا يعرض بالطريقة الصحيحة، وعرض الأقوال كيفما اتفق لا يعتبر هذا درس تفسير إطلاقاً، والتفسير له شأن آخر، والشيخ الأمين محمد الشنقيطي –رحمه الله– كان يُقرأ عليه قبل الدرس الذي كان يلقيه في المسجد النبوي من بعض الكتب، ولكنه حينما يتكلم فهو بحر يتفجر لا ساحل له، وقد عاينت هذا سنوات وتتبعت تفسيره، وأقارنه بالمصادر والكتب التي كانت تقرأ عليه قبل الدرس، ولا مقارنة بين ما يذكره بالتفسير وبين هذه المصادر والكتب، فحينما كان يمر على قضية من القضايا أو لفظة من الألفاظ ككلمة "الظلم" مثلاً يأتي بجميع معانيها، وشواهد من الشعر، وحينما يأتي إلى حرف من الحروف –حروف المعاني– يذكر معانيه، ويذكر لكل معنى شاهداً من الشواهد الشعرية، وحينما يمر على قضايا تاريخية أو قضايا تتعلق بالسيرة أو بالأنبياء السابقين –عليهم الصلاة والسلام– يذكر أشياء عجيبة، يتعب الناظر وهو يتتبع في كتب التواريخ حتى يوثق ذلك، بل وجدت أشياء كثيرة من الشواهد التي يذكرها غير موجودة في الكتب ولا في الموسوعات التي ظهرت فيما بعد ذلك في الأقراص التي تذكر الشواهد الشعرية مع طول التتبع حتى سافرت في هذا إلى موريتانيا؛ من أجل سؤال العلماء، وهناك لم أجد ما يشفي، يعني غاية ما وجدت أن بعض أهل العلم يقول: هذا مما ذكره بعضهم، يعني هو يذكر مثلاً أبياتاً لبعض الشعراء المعروفين، ثم يذكر بعده بيتاً أو بيتين ليسا من القصيدة، وإنما ذلك أخذه عن شيوخه أو بالمشافهة، فالرجل حينما كان يتكلم كأن العلوم بين عينيه يأخذ منها ما شاء ويدع ما يشاء، ولما تكلم عن قول الله: **{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}** [سورة الأعراف:١٢]، رد على إبليس في قياسه الفاسد من وجوه متعددة، ثم بعد ذلك بدأ يتكلم على القياس وأنواع القياس، ورد على نفاة القياس من الظاهرية كابن حزم وداود، رداً مفصلاً طويلاً، حتى إن تلميذه الشيخ عطية –رحمه الله– كتب هذا ثم عرضه عليه فلما نظر فيه وقرأه قال: "لولا أني أسمعه بصوتي لم أصدق أني قلت هذا"، فتح الله عليه في أثناء الدرس فكان يجلس –رحمه الله– ويتكلم على الآيات ثم بعد ذلك يسهب ويتوسع ويبحر، وكان يعتذر أن هذه الدروس لربما قد ذهبت بعيداً، لم تُفهم، ويعتذر بأن هذه الدروس يذكر فيها هذه الأشياء لينتفع الجميع؛ لأنه كان من الحضور الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله–، والشيخ حماد الأنصاري، وأمثال هؤلاء من العلماء كانوا يحضرون درسه في التفسير، ويحضره كثير

من العامة، وأقل ما يأتي العاميَّ من هذا الدرس أنه يعرف عظمة القرآن ولو لم يفهم حرفاً واحداً، ومن غرته نفسه يوماً من دهره وظن أنه حصّل شيئاً من العلم فما عليه إلا أن يسمع لبضع دقائق من درس الشيخ –رحمه الله– المسجل، شيء من دروسه فقط، يسمع قليلاً حتى يعرف وين العلم، ومن النماذج المعاصرة الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– المعاني التي يذكرها في درسه الذي كان في الإذاعة، وفي تعليقاته حتى على الجلالين في دروسه في المسجد، وفي الباب المفتوح في البداية تقرأ عليه الآيات وبعد ذلك يعلق عليها هذه الأشياء التي يذكرها من الاستنباطات الدقيقة، واللطيفة أشياء عجيبة بغاية الفائدة، فهو إمام في العلم، وإمام في الفقه، أقول هذا من باب إحقاق الحق، وبيان الفضل لأهله، فجربت تتبع ومقارنة كتب كثيرة من كتب التفسير على التسلسل التاريخي وكان آخر ما أقرأ كتب المعاصرين، أقرأ كتاب الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–، وكنت إذا وصلت عند هذا الكتاب أقول في نفسي ماذا بقي له، وإنما كنت أقرأ من باب تحلة القسم من أجل أن أكمل العدد الذي أمامي، أكثر من خمسين كتاباً أقرأ منها بالتدريج يعني بعد التسلسل التاريخي فبعض الكتب طويلة جداً، وما كنت أحتاج أن أكتب منها حرفاً واحداً، فالفوائد واللطائف موجودة في كتب سابقة، وهي عبارة عن تكرار، فإذا جئت عند كتاب الشيخ –رحمه الله– أجد أشياء كثيرة جداً تحتاج أن تدون، والشيخ –رحمه الله– كان لا يتعب في التحضير، فوقت الشيخ كان مملوءًا، فالشيخ منذ زمن بعيد وعنده خمسة دروس في أقل تقدير، في الفترة الصباحية، وفي الأجازات الصيفية دائماً منذ زمن بعيد قبل أن يشتهر الشيخ ويعرف، وأحد هذه الدروس هو تفسير الجلالين كان يشبعه تعليقاً، ويستنبط من القرآن أشياء، وهذه الأشياء كانت تستوعب وقته، خمسة دروس في الصباح، وكان يُقرأ عليه بعد المغرب في الفقه، وبين الأذان والإقامة في علم آخر، هذه سبعة دروس بالإضافة إلى الأشياء الأخرى، لقاء بأعضاء الدولة لقاء بأعضاء الهيئة، ولقاء بطلاب العلم خارج عنيزة، وطلاب السكن، ولقاء آخر خاص بطلاب الشيخ أو الطلاب القدامى، ولقاء آخر لبعض مندوبي بعض الجمعيات، ولقاءات ومواعيد، ونور على الدرب، فلا يوجد وقت لدى الشيخ يُعد فيه ويحضر مع ذلك تجد هذه الاستنباطات والدقائق والفوائد واللطائف، أشياء عجيبة وكثيرة فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

وينبغي لمن أراد أن يعد درساً في التفسير أن يحدد في البداية الاتجاه المطلوب سلوكه في هذا الدرس، هل نريد درساً يُعنى بالأشياء المنقولة، والأشياء المنقولة تشمل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، والتفسير بأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين وهذا ما يسمى بالتفسير المأثور، ويضاف إلى التفسير بالمنقول التفسير باللغة؛ ولا نقول: إنه من قبيل التفسير بالمأثور لكنه تفسير بالمنقول فهل نريد هذا أو نريد أن يكون التفسير بالاجتهاد والنظر والاستنباط وما يسمى بالرأي؟، فحينما نريد أن نفسر مثلاً قوله –تبارك وتعالى–: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [سورة الفاتحة:٢] إذا أردنا أن نفسر بالمنقول فمعنى ذلك أننا نقول: قال ابن عباس، وقال قتادة، وقال مجاهد، وهكذا، وننقل قول أئمة اللغة، ولكن حينما نريد أن نفسر بالاجتهاد فإننا نفسر من غير عزو، فنقول مثلاً: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** "ال" هذه للاستغراق، و"الحمد" هو إضافة أوصاف الكمال، ودخول ال الاستغراقية على هذا اللفظ "الحمد" يدل على أن الله –تبارك وتعالى– مستحق لجميع أوصاف الكمال، ولا يكون مستحقاً لجميع أوصاف الكمال إلا من كان منزهاً عن كل نقص، ومتصفاً بكل كمال،

وأيضاً فإن الذي يكون متصفاً بصفات الكمال جميعاً هو الذي ينبغي أن يكون المعبود وحده، و إن الناقص لا يصح أن يكون إلهاً، والفرق بين "الحمد والشكر" إلى آخر ما يذكر، و"لله" اللام هذه للاستحقاق؛ لأن هذا من باب إضافة معنى بذات الحمد مستحق لله، ولفظ الجلالة مشتق من الإلهية وهو أعظم الأسماء إلى آخر ما يذكر، وهذا يسمى بالتفسير بالرأي والاجتهاد والنظر، فلابد من تحديد الدرس وتحديد المستهدف، ولمن الخطاب، وإذا كنت تؤلف للعوام فهذا له طريقة حتى في التوثيق والصياغة وقوة العبارة، وإذا كنت تؤلف لطلبة العلم فهذا له طريقة من جهة الأسلوب، ومن جهة طريقة التوثيق فلابد أن يحدد الهدف والمستهدف من هذا التأليف أو من هذا الدرس، أما أن يأتي الإنسان ويجلس ولو جلس عنده أكبر العلماء أو جلس أجهل الناس فإنه لا فرق عنده بين هذا وهذا في المعلومات التي يقدمها فهذا غلط، وللأسف خطأ شائع، ومن أعظم أسباب الانقطاع عن العلم فلابد من التحديد من البداية، هل تريد أن تنمي عندهم الملكة؟ أو تريد أن تبين لهم فقط عظمة القرآن وجوانب تربوية؟، أو تريد أن تقدم هذا الدرس بطريقة محررة يستفيد منها المتعلم؟، وهذه أمور في غاية الأهمية، فتحديد الهدف قبل كل أمر له أهمية كبرى، ولابد من اتخاذ الأسلوب المناسب لكل من تخاطبه، ولابد من تحديد نوع التفسير الذي تريد أن تفسر به، فالتفسير على ثلاثة أنواع: **النوع الأول:** التفسير التحليلي والمقصود به أن يقف المفسر عند كل جملة، وكل لفظة، كما تقدم في الكلام على قوله: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**، فهذا يسمى بالتفسير التحليلي حتى لو كنا نذكر أقول العلماء، سواء من الصحابة أو من التابعين أو مَن بعدهم، و التفسير التحليلي على نوعين:

النوع الأول: التفسير المقارن، وهو عبارة عن ذكر أقوال المفسرين في الآية، ولا يكتفى بقول واحد، وهناك النوع الآخر من التفسير التحليلي وهو الذي يختار فيه القول الراجح لدى المفسر، ولا يذكر الأقوال كما تقدم في أول سورة الفاتحة، والحافظ ابن كثير –رحمه الله- يذكر الأقوال فيسمى تفسيره تحليلياً مقارناً، وتفسير القرطبي تحليلي ومقارن يذكر الأقوال ويتوسع، وتفسير الشوكاني "فتح القدير" تحليلي، يذكر الأقوال، وكذلك تفسير ابن جرير الطبري يعتبر تفسيراً تحليلياً، ويذكر الأقوال القول الأول كذا، ويذكر من قال ذلك، ويأتي بسرد الروايات، ثم يقول: وقال آخرون ويأتي بالقول ثم يسرد الروايات، ويأتي بقول ثالث ورابع وهكذا، فهو تفسير تحليلي مقارن، وأكثر كتب التفسير هي من قبيل التفسير التحليلي المقارن، وهناك نوع آخر من كتب التفسير هو تفسير تحليلي لكنه غير مقارن، بمعنى أن المفسر ينتخب قولاً يرى أنه الأرجح، فيذكر هذا القول مثل تفسير الجلالين اقتصر على قول واحد، ومثل زبدة التفسير وهو اختصار لفتح القدير للشوكاني، ومما يشبه هذا أيضاً التفسير الذي صدر عن المجمع لطباعة المصحف، تفسير الميسر فهو يجمع بين كونه من قبيل التفسير التحليلي الذي يقتصر على قول واحد، وفيه أيضاً صبغة من التفسير الإجمالي.

النوع الثاني: التفسير الإجمالي والمقصود بالتفسير الإجمالي هو الذي لا يقف عند الألفاظ، وإنما يذكر المعنى العام للآيات، وأبرز الكتب وأشهرها بهذه الطريقة تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي –رحمه الله- يذكر المعنى العام ولا يقف عند كل لفظة، تجد مضامين كلامه تبين عن بعض الألفاظ الغريبة، لكنه لا يقف عندها بذاتها، وإنما يتكلم عن معنى الآية العام، فتفهم معنى هذه الكلمة وتلك من خلال التفسير المجمل، فهذا

من التفسير الإجمالي، وابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسيره عادة بعد كل آية يذكر في نحو من أربعة أسطر أو أقل أو أكثر قليلاً المعنى العام للآية، وهذا من أنفع ما يكون للقارئ، وهو من مزايا تفسير ابن جرير –رحمه الله–، والسبب في ذلك هو أن القارئ أو المستمع إذا كان الدرس بالإلقاء إذا كان يسمع الدرس وأنت تحلل له كل حرف، وكل لفظة تذكر ما فيها من المعاني، والشواهد الشعرية، والاستنباطات الدقيقة، واللام مثلاً في قوله: **{الْحَمْدُ للّهِ}** للاستحقاق، واللام ثلاثة أنواع للاختصاص، والملك، والاستحقاق، فهي للاستحقاق هنا؛ لأنه أضاف معنى إلى ذلك من شأنها، يعني **{الْحَمْدُ}** مستحق لله –عز وجل–، ويبدأ يتكلم عن هذه القضايا، فيضيع السامع في هذه التفاصيل والدقائق لاسيما إذا كانت من الاستنباطات التي تستخرج بالمناقيش، لطائف بلاغية عبّر بكذا ولم يعبر بكذا، لكذا، وقدم هذه اللفظة على هذه اللفظة لكذا، كما في قوله: **{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}** أيها أشد نقب السد الذي بني بالبناء الذي وصفه الله –عز وجل–: **{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا}** [سورة الكهف:٩٦]، أوقدوا عليه النار، ثم قال: **{آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}** أي نحاس، والنقب أشد فزاد حرف التاء في **{اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}**، وهذا قد يستفيد السامع منها، لكن حينما نفسر بهذه الطريقة قد يضيع المعنى الأصلي الذي نزلت الآية لتقريره، ولهذا كان الشاطبي –رحمه الله– يشنع على هذه الطريقة ويلفظها ويقول: إن ذلك يضيع المعنى الذي نزلت الآية لتقريره، والتوسط لهذا الباب أن يقال بالاعتدال، يذكر المعنى العام كما يفعل ابن جرير –رحمه الله–؛ حتى لا يضيع المعنى، ويذكر من هذه الاستنباطات واللطائف القدر الذي لا يفضي إلى تكلف وتحميل كلام الله –عز وجل– ما لا يحتمل؛ لأن بعض الناس يذكر أشياء لا يدل عليها ظاهر القرآن، وهي من التكلف، وقد يقع الإنسان بسبب ذلك في القول على الله –تبارك وتعالى– بلا علم، وهذا أمر شديد، فهذا هو التوصف، وإذا استطاع المفسر أن يجمع بين الإجمالي والتحليلي فهذا جيد.

النوع الثالث: التفسير الموضوعي، وهذا التفسير الموضوعي اشتهر في العصر الحديث، وطريقة هذا التفسير أنه يأخذ سورة، يأخذ موضوعاً، يجمع الآيات التي تتصل بموضوع معين، مثلاً: الصلاة في القرآن الكريم كل الآيات المتعلقة بالصلاة، تجمع ثم بعد ذلك ينظر في هذه الآيات المجتمعة ويضع العناصر بهذا الدرس، وهذه الآيات منها ما يتعلق بحكم الصلاة فيأتي بالآيات التي تدل على الوجوب، والآيات التي تتعلق بفضل الصلاة يأتي بها تحت عنوان فضل الصلاة، وهناك آيات تتعلق بالثناء على المصلين مثلاً، أو وعيد للذين لا يصلون، وهناك آيات تتعلق بثمرات الصلاة وفوائدها، فيضع عنواناً ويأتي بهذه الآيات.

لكن هناك جوانب تتعلق بالصلاة فيها أحاديث ولا يوجد فيها آيات، وطريقة هذا التفسير أنه يذكر من الأحاديث ما يتعلق بالآيات، كما يفسرها ويشرحها ويبين بعض متعلقاتها، لكن لا تفتح باباً مستقلاً في هذا البحث مثلاً في جوانب لم يرد فيها إلا أحاديث، ولهذا نقول: إن هذا التفسير الموضوعي فيه نقص، ومن التفسير الموضوعي ما يُدرس فيه موضوع في سورة معينة، فحينما تقول مثلاً: "المنافقون في سورة براءة"، أو حينما تقول مثلاً: "الأحكام المالية في سورة البقرة"، أو "اليهود في سورة البقرة"، أو"الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات" هذا الموضوع من خلال سورة، وهناك نوع منه تدرس فيه لفظة واحدة كيف استعملت في القرآن مثلاً لفظة القنوت، ومعناها، وشيخ الإسلام ابن تيمية ألف فيها رسالة مستقلة، وتتبع مواردها في

القرآن فهل القنوت معناه دوام الطاعة؟ أو معنى القنوت هو الخضوع والخشوع أو غير ذلك كطول القيام في الصلاة؟ -أفضل الصلاة طول القنوت- أو الدعاء، قنت فلان ما المراد به؟ تدرس هذه اللفظة في القرآن جميع الموارد بجميع مواضعها، والمراد بها في هذا الموضع وهكذا، ثم بعد ذلك إما أن نخرج منها بمعانٍ متعددة، أو نقول جميع الاستعمالات ترجع إلى معنى واحد، كما خرج بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: أن المقصود هو دوام الطاعة، هذا يسمى بالتفسير الموضوعي، فبدايةً نحدد هذه الأشياء ثم نجمع المادة العلمية المناسبة لهذا الاتجاه، ونرتب هذه المادة بطريقة معينة، والطريقة المقترحة في ترتيب هذه المادة يمكن أن تكون على النحو الآتي:

أولاً: نبدأ بالقضايا العامة، والقضايا العامة بالنسبة مثلاً لسورة الفاتحة معنى السورة لغة واصطلاحاً، ولماذا سُورت السور؟ والحكمة من ذلك فيما يظهر لنا، كذلك معنى الآية لغة واصطلاحاً، ولماذا سميت بهذا؟ وهكذا ترتيب السور، وترتيب الآيات هل ترتيب الآيات توقيفي بمعنى أنه مأخوذ من النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الطريقة، أو أنه اجتهد فيه الصحابة؟، ونبين أن ترتيب الآيات أمر توقيفي لا اجتهاد لأحد فيه، وكذلك أسماء السور هل هي توقيفية أو اجتهادية؟ وأحياناً يذكر السورة الواحدة، سورة الفاتحة لها أكثر من عشرين اسما هل هذه الأسماء كلها منقولة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو أن هذه في الأغلب أوصاف وأن الأسماء الحقيقية قليلة والبقية هي أوصاف لهذه السورة؟ فهذه من القضايا العامة أولاً فيما يتعلق بالسورة والآية من هذه النواحي، ومن القضايا العامة نبين أسماء هذه السورة ومعنى كل اسم، فسورة الفاتحة مثلاً قيل لها ذلك لأنها يستفتح بها في الصلاة، أو لأنه افتتح بها القرآن، وقيل لها: الحمد؛ لأنها مبدوءة بالحمد، وقيل لها: أم القرآن باعتبار أن جميع معاني القرآن ترجع إليها، إلى غير ذلك من الأسماء، فنذكر الأسماء التي هي الأسماء وليست الأوصاف ونبين المراد بكل اسم، ويذكر فضل هذه السورة إذا وردت أحاديث صحيحة في فضلها كذا وكذا في الأحاديث، وهناك كتب تُعنى بهذه الأشياء جميعاً، هناك مصادر تتكلم عن السور وما يتصل بها، وأسماء سور القرآن ومعنى كل اسم إضافة إلى كتب التفسير تُعنى بهذه الأشياء، وهناك كتب تتعلق بفضائل السور، وهناك كتب في فضائل الآيات، وهناك كتب تُعنى بالصحيح، وهناك كتب تذكر الصحيح والضعيف، وهناك كتب بالأسانيد، هناك كتب تختصر بالأسانيد، ومكان نزول السورة، ومتى نحكم على السورة أنها مكية أو مدنية، وكيف نحكم بالنسبة للآيات التي يذكر بعض المفسرين أنها نازلة مستثناة، كقولهم: إلا هذه الآية نزلت بالمدينة، والسورة أحياناً تتكلم عن موضوع واحد محدد، وأحياناً عن مواضيع متعددة، وهناك كتب من غير كتب التفسير معينة تتحدث عن موضوعات في السور، وطالب العلم يمكن أن ينظر في السورة ويستطيع أن يحكم أنها تتكلم عن موضوع واحد أو عن عدة مواضيع.

ثانياً: ينتقل إلى تحليل الآيات، وهذا هو الجزء الأخير فيما يتعلق بإعداد درس التفسير.

وفيما يتعلق بتحليل الآيات إذا قلنا: إن هذا التفسير تفسير تحليلي فيذكر في البداية ما يتعلق بالمناسبة، والمقصود بالمناسبة يعني وجه الارتباط بين الآية والآية التي بعدها، يعني نفترض أننا مثلاً في الآية رقم (٢) ما وجه الارتباط بين هذه الآية وهذه الآية؟ هناك مناسبات بين السور يذكرها بعض العلماء، وهذا مبني على أن ترتيب السور توقيفي، ومعنى توقيفي: أن ذلك متلقي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهذا

الترتيب الذي في المصاحف، وأنه لا دخل للاجتهاد فيه، والأرجح أن ترتيب السور ليس بتوقيفي بل هو شيء له تعلق بالاجتهاد؛ وذلك أن مصاحف الصحابة -رضي الله عنهم- كانت متفاوتة، فمنهم من كان يرتب على حسب النزول إلى غير ذلك، وأحسن ما قيل في هذا -والله تعالى أعلم- هو ما ذكره الإمام مالك من أنه مستأنَس بما كانوا يرونه من غالب حال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قراءته، ولا شك أنه في ذلك الحين في ذلك الوقت في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعرف بعض الأجزاء، وبعض المجموعات -إن صح التعبير- من السور بحسب ترتيبها اليوم مثلاً الزهراوان "البقرة، وآل عمران"، و"المسبحات"، ونحو ذلك، لكن جميع سور القرآن ترتيبها ليس بتوقيفي، لكن كونهم استأنسوا بما كانوا يرونه من غالب قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض الصلوات ممكن، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقل لهم: ضعوا الفاتحة أولاً ثم البقرة ثانياً، ثم آل عمران ثالثاً، إلخ.

مسألة التنكيس جاء عن ابن مسعود -رضي الله عنه- لما سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً قال: ذاك رجل نكس الله قلبه،، والمقصود بالتنكيس قلب الآيات في السورة، يعني يقلب السورة من آخر آية حتى يصل للآية الأولى، وهذا يفعله بعض المتمرسين في الحفظ، وهذا لا يجوز؛ لأنه يفسد نظم القرآن والمعاني، لكن كون الإنسان يقرأ في الركعة الأولى: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}** [سورة الناس:١]، وفي الركعة الثانية: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}** [سورة الفلق:١]، فهذا لا شيء فيه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ في ركعة واحدة البقرة ثم النساء ثم آل عمران بركعة واحدة، فلا بأس أن يقرأ الإنسان، بل أكثر من هذا لا بأس أن يقرأ مقطعين من سورة واحدة، الأول منهما بعد الثاني بشرط ألا يكون الكلام مترتباً على بعض، وإنما يكون الكلام منفصلاً، يعني يقرأ قصة طالوت وجالوت **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ}** [سورة البقرة:٢٤٦] يقرأ ذلك بالركعة الأولى، ويقرأ في الركعة الثانية مثلاً أول السورة أو يقرأ في الركعة الأولى آية الدين، ويقرأ في الركعة الثانية قصة طالوت، فهذا لا شيء فيه -مع أن ترتيب الآيات توقيفي- فلا يقرأ آخر قصة طالوت في الركعة الأولى ويقرأ أولها في الركعة الثانية، هذا لا يصلح، ولابد أن يقرأ مرتباً، فالشاهد أن المناسبات بين السور ليست توقيفية، وبناء عليه فلا يبنى على ذلك: القول بأن التنكيس هو أن يقرأ سورة ثم يقرأ في الركعة الثانية السورة التي قبلها في ترتيب المصحف، هذا ليس هو التنكيس المقصود بالذم؛ بدليل فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-، والتنكيس المذموم إذا بني على القول بأن ترتيب السور توقيفي، وهو ليس كذلك فكل ما بني عليه فلا عبرة به، ومن الأشياء التي يبنونها على أن ترتيب السور توقيفي علم المناسبة وهو وجه الارتباط بين السورة والسورة، مثلاً في سورة الفيل: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ}** [سورة الفيل:١-٤]، وسورة قريش: **{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ}** [سورة قريش:١-٢]، لماذا فعل بأصحاب الفيل ما فعل؟ بالسورة التي بعدها مباشرة: **{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ}** فعلنا ذلك بأصحاب الفيل من أجلكم يا قريش، ويقولون في سورة الفاتحة مثلاً: الله -عز وجل- ضمنها معاني القرآن، وذكر الصراط والمغضوب عليهم، وصراط الضالين، ثم جاء ذلك مفصلاً بصدر سورة البقرة: أهل الإيمان، وأهل النفاق، والكفار، ثم ذكر اليهود ذكراً طويلاً مفصلاً،

فهذا تفصيل {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} [سورة الفاتحة:٧] لكن هذا كله بناءً على ترتيب السور هل هو توقيفي أو لا؟ والمناسبة المعتبرة تكون فيما عدا ذلك، بأن تكون المناسبة بين الآية والآية {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الفاتحة:٢] من هو رب العالمين؟ {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} [سورة الفاتحة:٣] ذكر صفته وخص هذه الصفة ليبين أن ربوبيته للعالمين، والربوبية مبنية على الرحمة وليست مبنية على المضادة والعسف، والقهر، والظلم وما أشبه ذلك ربوبية مبناها على الرحمة {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} ثم أخّر ذكر الملك مع أن المناسب فيما يتبادر لبعض الناس أن يذكر بعد الربوبية {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [سورة الفاتحة:٤] لكن جاء بينهما بذكر الرحمة من أجل بيان أن ربوبيته مبنية على الرحمة، ثم لما ذكره بهذه الأوصاف حمده ثم أعاد الحمد ثانياً، وهذا الثناء ((أثنى عليّ عبدي))[٣] إذا قال: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} ثم مجده ثالثاً بذكر {الْحَمْدُ} ثالثاً، ثم بعد ذلك كما يقول ابن القيم كأنه صار بحضرته فخاطبه فالتفت من الغيبة {الْحَمْدُ للّهِ} الغائب "ربّ" هو {رَبِّ الْعَالَمِينَ} هو {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} هو {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فوجه الخطاب {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [سورة الفاتحة:٥] ثم بعد ذلك سأل حاجته ومطلوبه {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} [سورة الفاتحة:٦] ثم بين هذا الصراط، وضبطه بوصف يبين حقيقته فهو صراط يجانب طريق الانحراف بالإفراط والتفريط {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}، هذا باختصار، وقل مثل ذلك في الحروف المقطعة، والراجح أنها لا معنى لها في نفسها لكنها تشير إلى معنى وهو أن هذا القرآن مكون من هذه الحروف فأتوا بمثله، ولذلك يأتي غالباً بعدها ذكر القرآن، ولهذا قال: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [سورة البقرة:١-٣]، بدأ يفصل بعد أن أجمل المتقين أولاً فقال: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} وهكذا في سائر الآيات المناسبة أحياناً تكون ظاهرة، وأحياناً تكون خفية، إذا كانت ظاهرة فإنها تذكر ولا بأس من هذا وليس ذلك من التكلف، وإذا كانت المناسبة خفية فإنه يعرض عنها؛ لئلا يكون الإنسان قائلاً على الله -عز وجل- بغير علم، المناسبة الظاهرة في الأمثلة التي ذكرتها آنفاً، والمناسبة الخفية كما في قوله -تبارك وتعالى- مثلاً: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [سورة القيامة:١٦-١٧]، والذي قبله: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ} [سورة القيامة:١-١١] هذا كله في القيامة واضح الارتباط {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [سورة القيامة:١٢-١٥]، فكل هذا يتحدث عن أحوال الآخرة والإنسان وما يلقاه فيها، ثم قال: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ} [سورة القيامة:١٦] يعني بتلقي الوحي القرآن، {لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [سورة القيامة:١٦-١٧]، فهنا لا يظهر ارتباط، لكن لا يجوز لنا أن نقول على الله بلا علم، وإذا رجعت إلى بعض الكتب تجدهم يذكرون وجوهاً

---

٣ - رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم (٣٩٥).

متكلفة وهذا لا يسوغ، والإنسان ينبغي أن يتحرز ويتورع، وهناك مناسبة بين المقطع والمقطع حتى ولو كان المقطع نزل قبل سنوات، ومثال ذلك لما ذهب كعب بن الأشرف ومن معه من اليهود إلى المشركين في مكة بعد غزوة أُحد يحرضونهم على استئصال المسلمين، ويقولون: أتيتم وانتصرتم ولم تفعلوا شيئاً، لماذا رجعتم؟ هم الآن يعيدون ترتيب صفوفهم ارجعوا إليهم فاستأصلوهم، فسألهم المشركون أنحن أهدى أم محمد؟ قالوا: أنتم أهدى من محمد، وسجدوا لأصنام المشركين، الأحبار سجدوا لأصنام المشركين تأكيداً على أنهم أحق من النبي –صلى الله عليه وسلم– وأهدى سبيلاً فقال الله –عز وجل– {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} [سورة النساء:٥٢-٥٧] إلى هنا، ثم قال: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ} [سورة النساء:٥٨] هذه لا علاقة لها بما قبلها بسبب النزول، والذي يُروى في هذا أنها نزلت بسبب قصة مفاتيح الكعبة لما فتح النبي –صلى الله عليه وسلم– مكة في السنة الثامنة، والمقطع الأول أتى بعد أُحد وهي في السنة الثالثة، فالذي حصل أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أخذ مفاتيح الكعبة وطلبها منه عليٌّ –رضي الله عنه–، ومفاتيح الكعبة أخذها النبي –صلى الله عليه وسلم– من بني شيبة، والنبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أنها عندهم إلى يوم القيامة، ولا زالت مفاتيح الكعبة عند بني شيبة إلى اليوم وهذا معروف، فالشاهد أن الآية: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ} نزلت في هذا فيما يروى في أسباب النزول، فعلى كل حال المقطع الأول يتحدث عن اليهود، والمقطع الثاني يتحدث عن الأمانات، والأمانات صيغة عموم يدخل فيها كل أمانة، ومما يدخل فيها دخولاً أولياً هو سبب النزول مفاتيح الكعبة، ويدخل فيها ما عدا ذلك، فمن الأمانات الداخلة تحتها الشهادة بالحق وعدم كتمانه، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– حينما سئل هؤلاء اليهود عنه كتموا ما عندهم من الأمانة، وهي ما عَرفوا من صفته –صلى الله عليه وسلم–، وقالوا للمشركين: أنتم أهدى من محمد، فخانوا الأمانة وضيعوها، فهذا هو الربط بين المقطعين، وهناك ربط مناسبات بين أول السورة وآخرها، ففي أول سورة البقرة مثلاً قال الله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة البقرة:٢-٥]، وقال في آخرها: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ} والغيب هو {كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [سورة البقرة:٢٨٥]، وهذا واضح لمن تدبر، ويمكن النظر في أول سورة الحشر وآخرها، وفي أول سورة التحريم قال الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ} [سورة التحريم:١]، وانظر للأمثال التي في آخرها للمؤمنين و للكافرين في النساء،

امرأة نوح، ولوط، وامرأة فرعون ومريم، الارتباط مناسبة بين أول السورة وآخرها، وهناك ارتباط بين أول الآية وخاتمتها كما في قوله سبحانه: **{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [سورة المائدة:٣٨]، فلم يقل: والله غفور رحيم، وإنما قال: والله عزيز حكيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في كتب التفسير (٢)

التعريف بكتب التفسير

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

وهناك وجه من الارتباط والمناسبة بين موضوع الآية وخاتمتها كما في قول الله -تبارك وتعالى-: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة المائدة:٣٨]، ولم يقل في آخر الآية: {وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، فالمناسب هنا العزة والحكمة، عزّ فحكم {وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وهناك قصة مشهورة لأعرابي سمع قارئاً يقرأ {وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} قال: لا، مع أن هذا الإعرابي لم يكن يحفظها أصلاً فلما أعادها قال: {وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} قال: نعم، عزّ فحكَم، وأحياناً قد تُستشكل بعض المواضع، مثلاً في قوله -تبارك وتعالى- عن عيسى -صلى الله عليه وسلم- حينما يسأله الله -تبارك وتعالى-: {أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} [سورة المائدة١١٦:٠]، إلى أن قال: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة المائدة:١١٨]، فلم يقل: "فإنك أنت الغفور الرحيم"، وإنما قال: {فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فهنا قد يستشكل هذا، فيقال: لماذا لم يقل: "فإنك أنت الغفور الرحيم"؟ والجواب: أن ذلك يوم يغضب فيه الرب -تبارك وتعالى- غضباً لم يغضب قبله مثله، ولم يغضب بعده مثله، فعيسى -صلى الله عليه وسلم- لم يدافع عن هؤلاء الذين نسبوا له الصاحبة والولد: {إِن تُعَذِّبْهُمْ}، فأنا ما قلت: {اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ}، وهم عبادك بين يديك: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وليبين أنه إن غفر لهم في ذلك اليوم العظيم فليس مغفرته وعفوه ورحمته من عجز عن المؤاخذة والأخذ، وإنما عن عزة وحكمة، عزيز قادر على أن ينزل بهم العقوبة فليس بعاجز، وحكيم يضع الأمور في مواضعها ويوقعها في مواقعها، هذه المواضع التي قد تستشكل، هذا يسمى المناسبة بين موضوع الآية وبين خاتمتها، هذا كله لا إشكال فيه، وهناك كتب تُعنى بالمناسبات منها كتب تفسير، ومنها كتب أخرى مستقلة وليست كتب تفسير، وهناك كتب في فضل الآية إذا ورد فيها حديث صحيح، وهناك كتب من كتب التفسير تذكر هذه الأشياء، وهناك كتب مستقلة تتحدث عن فضائل السور، وهناك كتب تتحدث عن فضائل الآيات والسور لكن ينبغي أن يقتصر على الأحاديث والروايات الصحيحة، ويستبعد الضعيف، ننتقل بعد ذلك إلى أسباب النزول، سبب نزول هذه الآية، القرآن منه ما نزل ابتداءً وهو الأكثر، يعني من غير سبب معين، ومنه ما نزل بسبب، وهذا الذي نزل في سبب هو ليس بقليل لكن الغالب ما نزل ابتداءً، وهناك كتب تُعنى بأسباب النزول كتب متنوعة وكثيرة جداً منها ما يروي هذه الأسباب بالأسانيد، ومنها ما يختصر الإسناد، منها ما يقتصر على الروايات الصحيحة فقط، ومنها ما يذكر الصحيح والضعيف، في الآية وسبب نزولها يمكن أن نذكر المعنى الإجمالي -المعنى العام- من أجل ألا يضيع المعنى الذي نزلت الآية لتقرره في ثنايا اللطائف والاستنباطات الدقيقة، والنكات البلاغية وما أشبه هذا، نذكر المعنى العام ثم بعد

ذلك إن كان في المعنى قراءات تذكر هذه القراءات تبين هذه قراءة متواترة، وهذه قراءة أحادية، وهناك كتب تُعنى بالقراءات، وبعض الكتب تعنى بالقراءات السبع، وبعض الكتب تعنى بالقراءات العشر، وبعض الكتب تعنى بالشواذ، وبعض الكتب تعنى بتوجيه القراءات يعني هذه القراءة بناءً على كذا، معناها كذا، وهناك كتب في توجيه القراءات السبع، وهناك كتب في توجيه القراءات الشاذة مثلاً، ونحتاج أن نبين معاني الغريب غريب الألفاظ وهذا له مصنفات كثيرة منها المطولة، ومنها ما هو مختصر، وكذلك نحتاج أن نذكر ما نحتاج إليه من الإعراب إذا كان يتوقف عليه المعنى إلا إذا كنا ندرّس لطلاب لغة عربية من المتخصصين نريد التطبيق على ما يدرسونه في النحو، هذا شأن آخر، أما إذا كان الدرس تفسيراً فلا نشغل الناس بالإعرابات، ومن عادة الناس في الغالب أن نفوسهم تنفر من الإعراب، فإذا جاء الإعراب انقطع الذهن وسئموا، فنحن نذكر من الإعراب ما يتوقف عليه المعنى فقط، وأحياناً ما يتبين المعنى إلا إذا بُين الإعراب، يعني ما يذكرونه مثلاً أن أصعب آية من جهة الإعراب والمعنى هي آية المائدة **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ}** [سورة المائدة:١٠٦-١٠٧]، فلمعرفة معنى الآية لابد أن يبين إعراب بعض الكلمات، وهناك كتب تعنى بالإعراب هناك كتب تفسير تركز على قضايا الإعراب منها ما هو معاصر، ومنها ما هو متقدم، وهناك كتب تعنى بالمشكل فقط من الإعراب دون سائر الأشياء، وكذلك نحتاج أن نبين ما في الآية من الناسخ والمنسوخ، وكتب التفسير في الغالب تشير إلى هذا، وهناك أيضاً كتب متخصصة في باب الناسخ والمنسوخ منها كتب أمهات تعتبر أصلية، ومنها كتب تعتبر دون ذلك، وما يعتمد عليه في ذلك، ودعوى النسخ كثيرة جداً بالمئات، والواقع الذي يثبت فعلاً أنه منسوخ في القرآن قد لا يتجاوز أصابع اليدين، يعني عند التمحيص والتحقيق، والفائدة من مناقشة دعوى النسخ أمور متعددة منها:

الأمر الأول: قضايا الأحكام سواء كانت أحكاماً تتعلق بالاعتقاد أو قضايا من الفروع العملية فهذه يمكن أن يستنتجها المفسر من خلال الآيات ودلالتها، وأمر آخر وهو اللطائف البلاغية لماذا قال الله -عز وجل- مثلاً: **{فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ}** [سورة يوسف:٩٦]، ولم يقل: "لما جاء البشير"؟، فمثل هذه الأشياء تجعل لدرس التفسير شيئاً من الحلاوة، وتنشط السامع فيستلطفها ويستعذبها، وكذلك يبين ما يسمى بموهم التعارض الذي هو التشابه المعنوي، يعني قال الله -عز وجل- مثلاً: **{فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ}** [سورة الرحمن:٣٩]، وفي موضع آخر قال: **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}** [سورة الصافات:٢٤]، فلا تعارض بين الآيتين، ويمكن أن نقول: يوم القيامة يوم طويل **{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}** [سورة المعارج:٤]، ففي بعض المواطن لا يُسأل أحد عن ذنبه، وفي بعض المواطن يُسألون، أو يقال: إنه لا يسأل سؤال استعتاب من أجل أن يعتذر ويقبل عذره لا، وإنما يسأل سؤال تبكيت، وفي موضع أخبر أنهم لا ينطقون، وفي موضع آخر أخبر أنهم يتكلمون **{إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا}** [سورة طه:١٠٣]، وأخبر أنه لا يكلمهم في موضع، وفي موضع آخر

قال لهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [سورة المؤمنون:١٠٨]، فقوله: {اخْسَئُوا فِيهَا} هذا تكليم، يقول: لا يكلمهم كلام تشريف، وإنما كلام تبكيت وهكذا، وهذا فيه مؤلفات تعالج هذه القضايا.

الأمر الثاني: من الفوائد المستنبطة واللطائف والفوائد التربوية تذكر بعض الفوائد الجميلة والأشياء المستنبطة التي يمكن أن تقال مثلاً في قول الله –عز وجل-: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [سورة المجادلة:١] جاء عن عائشة –رضي الله عنها- أنها قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات إني لفي ناحية البيت، ما أسمع ما تقول"[١]، فهنا نتحدث عن قضية سمع الله –عز وجل- وأنه يسمع دبيب النمل، ويسمع أصواتنا وكلامنا، فينبغي للإنسان أن يحاسب نفسه، وأن يتقي الله –عز وجل- فيما يقول، وأن يعلم أن هذا الكلام يكتب ويقيد، وأن الملك العلام –جل جلاله- يسمع كل كلمة ينطق بها الإنسان، فيتحرز ويخاف وهكذا، فهذه مواطن كثيرة جداً في القرآن يمكن أن يقف عندها الإنسان، ويربى عليها النفوس وهذه أعظم تربية، ولو أن الناس نظروا فيما حواه القرآن من هذه المعاني لأغناهم وكفاهم عن غيره والسنة شارحة للقرآن، ولا يمكن أن يأتي التربويون في نظرياتهم بشيء صحيح إلا وتجد ذلك في القرآن بأوضح عبارة، شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- يقول: لو أن الناس نظروا في القرآن واعتبروا ما فيه لاستغنوا به عن غيره مما يقوله الناس، وإذا نظرت إلى ما تشرحه السنة، أو كلام أهل العلم على الآيات رأيت ما يكفيك، وفي غاية الدقة، بل إذا ذكرت لبعض من يتكلفون ويجتمعون في ما يسمى بورش العمل، والعصف الذهني يتعجبون، وربما يقولون: أول مرة نسمع هذا الكلام، فربما أتحدث معكم اليوم كلاماً طويلاً وتجده في القرآن بعبارة وجيزة، ولا أقصد طبعاً التكلف الذي هو حمْل القرآن على المعاني كما يقول بعض الناس، وبعد أن عرفنا كيف نرتب الأفكار والمعلومات –وهذه طريقة مقترحة وليست بلازمة- ننتقل إلى ما يذكر، وهو أن هذا التفسير يعتمد على معلومات وهذه المعلومات تؤخذ من كتب التفسير، ومن كتب أخرى غير كتب التفسير ومن مصدر ثالث وهو الاستقراء والجمع، وهذا لا يمكن أن يتحدث عنه، لأنه لا توجد قاعدة، وإنما نريد أن يكون عند الإنسان تصورات وليس المناقشة لجزئيات وأمثلة وتطبيقات، ولذلك سنتحدث عن الكتب التي تتعلق بالتفسير، والكتب الأخرى التي تعين الناظر في التفسير، وليست من كتب التفسير وقبل الشروع في الكلام على الكتب أذكّر بقضية وهي أنه عندما تقرءون في كثير من الكتب التي تتحدث عن كتب التفسير مثلاً يتحدثون عن أول ما ألف في التفسير، وأن التفسير كان مختلطاً بالحديث، ويذكرون أوائل المؤلفين في التفسير يقولون: شعبة بن الحجاج المتوفى سنة مائة وستين للهجرة، وسفيان بن عيينة مائة وثمانٍ وتسعين للهجرة، ووكيع بن الجراح مائة وست وتسعين، يقولون: وكان التفسير مختلطاً بالحديث هكذا يقولون، لكن عند التتبع والنظر فيما وراء هذه الكتب التي تتحدث عن هذه القضايا

---

١ – ذكره البخاري معلقاً، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [سورة النساء:١٣٤]، ووصله النسائي، كتاب الطلاق، باب الظهار، برقم (٣٤٦٠)، وابن ماجه، كتاب في فضائل أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، باب فيما أنكرت الجهيمة، برقم (١٨٨)، وأحمد في المسند، برقم (٢٤١٩٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم، تميم بن سلمة من رجاله، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

-وينقل بعضهم عن بعض عادة- تجد أن الأمر ليس كما يقولون، والتفسير من الفسر وهو الكشف، سواء كان ذلك من الأمور الحسية نحو كشف عن ساعديه أوذراعه، أو كان ذلك من الأمور المعنوية وهو الكشف عن المعنى المغطى، إظهار الكشف والإبانة، وإظهار المعنى إبانة المعنى الغامض هذا هو التفسير في اللغة، وفي الاصطلاح يمكن أن نقول: إنه بيان مراد الله -عز وجل- من كلامه على قدر الطاقة البشرية؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يحيط بجميع معاني القرآن، إلا من تكلم به -سبحانه وتعالى-، والكلام الذي يذكرونه في أوائل ما كتب في التفسير أقول هذا فيه نظر، فالصحابة -رضي الله تعالى عنهم- كانوا يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- فما يشكل عليهم من تفسير القرآن، والروايات في هذا كثيرة، لمّا أشكل عليهم قوله سبحانه: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}** [سورة الأنعام:٨٢]، سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عنها، فأخبرهم أن معنى ذلك الشرك وفسره بقوله: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [سورة لقمان:١٣]، وأحياناً النبي -صلى الله عليه وسلم- يبين لهم ابتداءً وهذا في مواضع كثيرة، لكن هل النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبين لهم جميع معاني القرآن، وإنما بين لهم ما يحتاجون إليه وذلك أن التفسير كما قال ابن عباس على أربعة أضرب منه مالا يسع جهله لأحد، ومنه ما يجهله أحد، هذه هي الأشياء الواضحة والبينة الظاهرة، ومنه ما تعرفه العرب من لغاتها، كـــ"الأبّ"، وقوله: **{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}** [سورة المرسلات:٣٢] قال ابن عباس: كنا نجمع الحطب في الشتاء على قدر ذراع نعده للشتاء ونسميه القصر، ومنه ما يعلمه العلماء وهو المتشابه المعنوي والاستنباطات الدقيقة وما أشبه ذلك، ومنه مالا يعلمه إلا الله، وهو حقائق الأمور الغيبية، وليس في المعاني، فالصحابة -رضي الله عنهم- كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبين لهم ما يحتاجون إليه، ثم الصحابة تلقى بعضهم عن بعض، وتلقى عنهم التابعون، ثم جاء أتباع التابعين، وأول من ألف في التفسير سعيد بن جبير توفى سنة أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين قتله الحجاج، وإذا نظرت في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عطاء بن دينار قال أحمد بن صالح: هو تفسير عطاء بن دينار فيما يروي عن سعيد بن جبير صحيفة، يعني: أنه وجدت هذه الصحيفة في الديوان، ونقل منها التفسير بمعنى أن عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ست وثمانين للهجرة، طلب من سعيد بن جبير أن يكتب له بالتفسير فكتب له هذه الصحيفة التي كتبت، ولاشك أنها كتبت قبل وفاة عبد الملك بن مروان سنة ست وثمانين للهجرة، كتاب في وقت متقدم يعني من القرن الأول الهجري، وكذلك إذا نظرت إلى كثير من الكتب ككتب الجرح والتعديل، وطبقات القراء، وطبقات المفسرين، وكتب التواريخ عموماً كتاريخ بغداد، وتراجم الأعلام كالسير للذهبي، والمعارف لابن قتيبة، وتذكرة الحفاظ، وما شابه هذا، تجدهم ينسبون إلى عدد من السلف كتباً في التفسير مثل مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٤هــ، الضحاك بن مزاحم المتوفى ١٠٥هــ، عكرمة مولى ابن عباس ١٠٧هــ، محمد بن كعب القرضي ١٠٨هــ وقيل غير ذلك، الحسن البصري١١٠هــ، عطاء بن أبي رباح ١١٤هــ، وهب بن منبه١١٤هــ، وقيل١١٠هــ، قتادة السدوسي ١١٧هــ، عطاء بن دينار ١٢٦هــ، إسماعيل السدي ١٢٧هــ، عطاء الخرساني١٣٣هــ، الربيع بن أنس ١٣٤هــ، زيد بن الأسلم ١٣٦هــ، شبل بن عباس ١٤٨هــ، مقاتل بن حيان ١٥٠هــ، ومقاتل بن سليمان١٥٠هــ، مقاتل بن سليمان سيأتي الكلام على تفسيره باختصار وهو تفسير موجود، مطبوع في ثلاثة مجلدات، وفي بعض الطبعات في أربعة مجلدات، توفى مقاتل

سنة١٥٠هـ، وله أيضاً تفسير ٥٠٠ آية، حقق في الجامعة العربية برسالة ماجستير قبل سنة ١٤١٠هجرية، وهذا القدر يكفي لبيان أن الكتابة في التفسير كانت متقدمة.

كتب التفسير:

كتب التفسير كثيرة جداً، يصعب الكلام على كل المطبوع فضلاً عن الكلام على المخطوط، والمخطوط أكثر من المطبوع، بل الحواشي على بعض الكتب لربما يتعب الإنسان من تصفح أوراق فهارس المخطوطات لكثرتها، فكيف بالكلام عليها، وبيان ما تضمنته من أول الكتب التي وصلتنا إلى اليوم؟!، فتفسير مقاتل بن سليمان البلخي موجود تفسير "٥٠٠" آية المقصود بـــ"٥٠٠" آية هي الآيات الصريحة المباشرة في تقرير الأحكام كقوله مثلاً: **{وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ}** [سورة البقرة:٤٣]، وكثير من المؤلفين في الأحكام اقتصروا على هذه الآيات، هناك كتب تُعنى باستنباط الأحكام والمعاني من القرآن، وتفسير القرطبي يذكر الأحكام حتى من موضع القصص، والله –عز وجل– حينما يذكر في قصة أصحاب الكهف، يقول: **{فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}** [سورة الكهف:٧١]، فنأخذ منها مسألة فقهية وليست الآية لبيان حكم، لكن يستنبط منها حكم، ومثل هذا لا يذكره أصحاب ٥٠٠ آية، فمن أحكام هذه القصة جواز إتلاف البعض في سبيل إبقاء الكل، فلو أن إنساناً ظهرت في طرف أصبع رجله الإبهام غرغرينة، ما حكم قطع الأصبع أو الرِّجل؟ فهل نقول هذا عضو محترم لا يجوز قطعه ولو مات الإنسان؟ الجواب: يقطع البعض في سبيل استصلاح الكل، ولو أن رجلاً أعطاك أمانة وقال لك: اذهب بهذه الأموال ثلاثمائة ألف ريال إلى وكيلي فلان، وفي الطريق جاء قُطّاع طرق وقالوا: ما نتركك حتى تعطينا خمسين ألفاً، فأعطاهم خمسين ألفاً في سبيل استبقاء باقي المال، فلا يضمن إذا رجع إليه، دفع خمسين ألفاً في سبيل الحفاظ على بقية المال، وإلا كان المال كله ضاع، فضحي ببعض المال في سبيل بقاء الكل، كذلك لما وجد الغلام على سيف البحر فقتله: **{قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا}** [سورة الكهف:٧٤]، هذه مسألة فقهية معروفة في باب القضاء، هل يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه؟ أو لا يقف على البينات والشهود؟ وشرع من قبلنا شرع لنا بشرط ألا يخالف شرعنا، وأحياناً تأتي قضية أنت تعلم أن فلاناً يفعل الفواحش، وما لا يليق، وأن هذه التهمة وجهت إليه وأنها عنده وفيه، لكن القاضي الآن لابد من الشهود أو البينة، ما في شيء يثبت، وأنت تعرف أن هذا الإنسان يسرق أموال الناس ويحتال، وأن الأرض هذه ليست له.

فتفسير مقاتل تفسير الخمسمائة آية هذا يتعلق بالأحكام المباشرة، وهناك كتاب آخر في التفسير في أربعة مجلدات مطبوع، وليس في آيات الأحكام، وإنما هو تفسير فتارة يروي بالإسناد عن غيره، وفي الغالب هو يذكر التفسير مختصراً، وكلام أهل العلم في الثناء على تفسير مقاتل كثير جداً، وكان بعضهم في غاية الإعجاب بهذا التفسير، لكنهم تكلموا فيه من ناحيتين من ناحية الاعتقاد، واشتهرت عبارة أبي حنيفة –رحمه الله–: أنه جاءنا من قبل المشرق رأيان خبيثان مقاتل مجسم، والجهم معطل، وسرت بين العلماء وتناقلوها وجرت على لسان أئمة كبار، لكن مقاتل –رحمه الله– لا يظهر في تفسيره شيء من التجسيم أبداً، وكتبه التي وصلت إلينا لا يوجد فيها شيء من ذلك، ولهذا لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وذكر ما نسب إليه من التجسيم قال: ولعله لا يثبت عنه، عبارة مختصرة لكنها ذات دلالة كبيرة، اتهم بالتجسيم وهذا لا يوجد

ما يثبته، القضية الأخرى وهي أنه اتهم بالكذب في الرواية وكلام الأئمة في هذا كثير، يقولون هو تفسير جيد لكن الرواية الرجل متهم فإذا نظر في تفسيره انتفع فيه الإنسان، لاسيما أن تفسير مقاتل غالبه ليس في الرواية، وإن وجدت فيه بعض الروايات، لكن الغالب فيه ليس من قبيل الرواية، فيستفاد من تفسيره المعاني الحسنة، وأما قبوله في الرواية فله شأن آخر، فهذا من سنة مائة وخمسين للهجرة، هناك كتب أخرى مثل تفسير يحيى بن سلام المتوفى سنة مائتين للهجرة، هذا التفسير يوجد به بعض النواقص وله عدة نسخ خطية في مصر، ويذكر أسباب النزول، ويفسر القرآن بالقرآن، ويذكر أسانيد المرويات غالباً، ويرجح، ويشير إلى القراءات ويوجهها باختصار، ويكثر الرواية عن الكلبي والسدي، ويذكر بعض الإسرائيليات ولا يعلق عليها، هذا تفسير متقدم، وذكر أن عامة من روى عنهم قد رووا عنه وأخذوا عنه، فهو عاصر الإمام مالك -رحمه الله-، ويذكر أن مثل الإمام مالك والليث ومن في طبقتهم أخذ عنهم، وأخذوا عنه، هذا الكتاب له ثلاثة مختصرات:

الأول: يسمى بتفسير كتاب الله العزيز لهود بن المحكم الهواري توفى سنة مائتين وثمانين للهجرة تقريباً، يعني ليس بعيداً من عصر المؤلف، وهو أول مختصر لتفسير يحيى بن سلام، وهذا المؤلف من الخوارج إباضي وهو متقدم، وهذا دليل على أن الفرق موجودة منذ القدم، فكان المؤلف يأتي عند المواضع التي لا توافق عقيدته ويعبر عنها بطريقته، وهذا خلاف الأمانة العلمية، والمفروض أن هذا اختصار لتفسير يحيى بن سلام، ويحيى بن سلام من أهل السنة والجماعة، فهذا يعبر في المواضع التي تتعلق بالشفاعة والقضايا بطريقته، ويحذف الروايات والأحاديث التي لا توافق مذهبه كأحاديث الشفاعة يحذفها، وهكذا أحاديث الجهنميين؛ لأن الخوارج -كما تعرفون- يرون خلود أهل الكبائر في النار، فيحذف هذه الأحاديث، وحَذَفَ أسانيد الكتاب واكتفى بذكر الصحابي، وأما أقوال التابعيين فإنه يقول: قال بعضهم، وتفسير يحيى بن سلام لا يقتصر على ذكر الروايات، وإنما يذكر بعض القضايا المتعلقة بالمعاني، وهذا خلاف المشهور الذي تجدونه في كثير من الكتب التي تتكلم عن كتب التفسير وطريقتها، ويقولون: ابن جرير هو الذي كان يذكر الروايات ويناقش ويذكر المعاني اللغوية إلى آخره، وأما الذين قبله فلم يكن لهم إلا سرد الروايات، نقول لهم: هذا ليس صحيحاً، يحيى بن سلام لا يقتصر على ذكر الروايات بل يذكر أشياء أخرى، وله مختصر آخر وهو المعروف بتفسير عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن بن أبي المطرف الأنصاري القرطبي توفي سنة ٤١٣هـ، لكن هذا مفقود لم نقف عليه، والمختصر الثالث لتفسير يحيى بن سلام هو كتاب مطبوع في خمسة مجلدات طبع في السنوات الأخيرة، وهو "تفسير القرآن العزيز" لمحمد بن عبد الله بن عيسى الليبيري الإمام المعروف بابن أبي زمنين، وهذا من أئمة أهل السنة والجماعة له كتاب معروف مشهور اسمه السنة، يعني في الاعتقاد توفى سنة ٣٩٩هـ اختصر تفسير يحيى بن سلام بحذف المكررات، وحذف بعض الأحاديث والآثار، وزاد فيه بعض الزيادات فيما لم يفسره يحيى بن سلام وعامة ذلك في اللغة والإعراب، وتوجيه القراءات، وكما ذكرت تفسير يحيى بن سلام فيه بعض الأشياء اللغوية والإعرابية لكنه أضاف إعرابات كثيرة وقضايا لغوية كثيرة مقارنة بما ذكره يحيى بن سلام، وتكلم عن القراءات ووجهها وأبقى أسانيد يحيى بن سلام لم يحذفها، وميز الزيادات التي زادها عن الأصل بقوله: قال يحيى، قال محمد، إذا قال يحيى

يعني ابن سلام، وإذا قال محمد يعني ابن أبي زمنين، وهذا جيد، ويؤخذ على الكتاب ذكر بعض الإسرائيليات المنكرة من غير تعليق عليها، وذكر بعض الأحاديث الضعيفة، ويكثر من الرواية عن محمد بن السائب الكلبي وهو متهم بالكذب، إضافة إلى التوسع بدعاوى النسخ، وذكر الروايات التي لا تصح، وهذا موجود في الكتاب، وهو تفسير سهل ومختصر لا يخوض في الخلافات، ويشير إلى قضايا النسخ: الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والعام والخاص، وأسباب النزول وغير هذا مع كثير من قراءات السلف، وقراءة الصحابة والتابعين مع ذكر القراءات السبعية والعشرية، يعني يذكر المتواتر وغير المتواتر، وينقل عن أئمة اللغة كأبي عبيد القاسم بن سلام، والخليل بن أحمد الفراهيدي والزجاج وأمثال هؤلاء، والكتاب مطبوع.

ومن كتب التفسير بالمأثور حسب التسلسل التاريخي من هذه الكتب التي وصلت إلينا تفسير الأمام عبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة٢١١هـ، وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات كالكتب التي يصفها الكاتبون في مناهج المفسرين: كان الغالب قبل ابن جرير على الكتب المتقدمة هو السرد والرواية دون التعليق والترجيح، والكلام على قضايا أخرى كالقضايا اللغوية وغيرها مما يضيفه المصنف، هذه الكتب في الغالب، وهذا غير مسلم لهم، والعادة أن هؤلاء الذين يكتبون في مناهج المفسرين يقولون: إن أول من جاء بهذه الطريقة يضيف إلى الرواية ويرجح هو ابن جرير، لكن الصحيح أن ابن جرير -رحمه الله- مسبوق، وإن كان كتابه هذا لا نعلم نظيراً له من المصنفات في التفسير، وتفسير الإمام عبد الرزاق -رحمه الله- هو على هذه الطريقة التي يصفها من يكتبون في مناهج المفسرين في كتب المتقدمين هو مجرد سرد للروايات بالأسانيد، وعبد الرزاق الإمام الكبير من شيوخ الإمام أحمد -رحمه الله-، هذا الكتاب مع كونه من الكتب المسندة التي تذكر الروايات دون ترجيح، ودون تمييز للصحيح أو الضعيف، بل دون تعليق على الرواية؛ لأنه على القاعدة المعروفة من أسند فقد برئ، هو يذكر الإسناد فعليك أن تحقق الإسناد فهذا الإسناد فيه الروايات الصحيحة، وفيه الروايات الضعيفة، مع كونه كذلك فليس من الكتب المتوسعة في التفسير، أو في ذكر المرويات في التفسير، فالمرويات التي توجد فيه لا تقارن بالمرويات الموجودة مثلاً في تفسير ابن جرير الطبري، هي أقل بكثير، ولذلك تجد تفسير القرآن كاملاً في النسخة المطبوعة ثلاثة مجلدات، وهو في المخطوط جزء واحد لربما يبلغ ما يقرب من٢٥٠ صفحة، فهو كتاب ليس كبيراً، ومن الكتب التي سارت على هذه الطريقة في الرواية كتاب يقال له: "الواضح في تفسير القرآن الكريم" لأبي محمد بن عبد الله بن محمد بن وهب المتوفى سنة ١٠٨هـ، ومرويات هذا الكتاب كلها عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، ورواه المصنف بإسناده، وهذا الإسناد من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا الإسناد من الأسانيد التي لا تثبت ولا تصح بحال من الأحوال، وليس فيه روايات أخرى عن بقية الصحابة، فيه روايات عن التابعين عن ابن عباس من هذا الطريق فقط، مع العلم أن الروايات عن ابن عباس جاءت من طرق متعددة منها ما هو صحيح، ومنها ما هو ضعيف، لكن هذا الكتاب من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهو مطبوع في مجلدين، والمرويات التي فيه ليست كثيرة ربما تجد في الآية رواية واحدة أو روايتين.

ومن أجلّ التفسير بالمأثور كتاب "جامع البيان" لكبير المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وهذا الكتاب مشهور معروف متداول من أجلّ الكتب وأنفعها، وكلام العلماء في بيان مزايا هذا الكتاب وفي بيان قدره كلام مشهور، ومن ذلك قول السيوطي عنه: إنه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق في ذلك على تفاسير الأقدمين، وقال عنه النووي -رحمه الله-: أجمعت الأمة أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري، وقال عنه أبو حامد الإسفرايني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً، وقال عنه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله-: أما التفاسير التي بأيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي، وجاء في الميزان أن ابن خزيمة -وهو إمام الأئمة كما يلقب بذلك- استعار تفسير ابن جرير من ابن خالويه فرده بعد سنين، قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره فما على أديم الأرض أعلم من ابن جرير"[٢]، هذه شهادة من ابن خزيمة، وقال عنه الإمام ثعلب إمام النحو اللغوي من أصحاب الإمام أحمد: قابلت هذا التفسير من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً خطأً في نحو أو لغة، وهذا الكتاب جاء في معجم الأدباء عن أبي بكر بن بالُويه قال: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير أملاه على تلامذته يقول قلت: نعم، قال في أي سنة؟ قلت: في سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين، كم سنة سبع أو ثمانٍ؟ أحسب ثماني سنوات إذا حسبت، شيء ليس بالسهل كتاب مثل هذا، كم يجلس الناس يؤلفون رسالة في الماجستير؟، وحجم الكتاب الأصلي كما جاء في الطبقات الكبرى لابن السبكي أن ابن جرير يقول لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، قالوا: هذا لربما تفنى الأعمار قبل تمامه، فقال: ضعفت الهمم، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة من ثلاثين ألفاً، بنسبة واحد إلى عشرة، وهذا الكتاب يذكر الروايات بالأسانيد، وقلّ أن يتكلم على هذه الروايات بتعقيب أو انتقاد من جهة الكلام على الرواية، ومن عادة ابن جرير -رحمه الله- أنه يذكر المعنى الإجمالي في البداية، وهذا من محاسن هذا التفسير: المعنى العام، ثم بعد ذلك إذا كانت الرواية فيها أقوال يذكر الخلاف، ويذكر من قال ذلك، ثم يسرد الروايات سرداً، ثم بعد ذلك يقول: وقالت طائفة، وقال آخرون: إن المعنى كذا وكذا، ثم يقول: ذكْر من قال ذلك ويسرد الروايات، ثم يأتي بالقول الثالث، ثم يسرد المرويات عنهم، وفي هذه الروايات الصحيح والضعيف ثم بعد ذلك يرجح، وهو حينما يريد أن يرجح يقول: قال أبو جعفر، فإذا رأيت قال أبو جعفر فمعناه الآن بدأ يتكلم ويذكر لك ترجيحه مضمناً لكثير من التأصيل والتقعيد، فهو من الكتب العظيمة التي تبني طالب العلم؛ الكتاب فيه الكثير من المرويات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقوال السلف، وفيه ذكر القراءات، ويذكر قضايا تتعلق بالإعراب، يعني يعرب ما يحتاج إلى إعراب، ويرجح بين الأقاويل، ويذكر عند ذلك الشواهد من العربية، ويتكلم عن قضايا اللغة ومعاني الألفاظ، ويتحدث عن الأحكام الفقهية من غير توسع بحيث لا يكون ذلك غالباً على الكتاب، كما أنه يذكر القضايا المتعلقة بالاعتقاد،

---

٢ - لسان الميزان، للحافظ ابن حجر (١٠٢/٥).

والمؤلف –رحمه الله– كان على عقيدة السلف الصالح –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–، مع أنه كثيراً ما يستند إلى الإجماع حتى إن لاح له معنى فإنه يبين أنه تركها على هذا المعنى لإجماع الحجة كما يعبر كثيراً، أو أنه لا يستجيز سوى المعنى المذكور، لإجماع الحجة عليه وقد تجد قبل هذا وبعده أنه ذكر قولاً يخالف هذا القول الذي ذكر عليه إجماع الحجة، فلا يُستغرب، ولا يقال: سرعان ما نسي أو ناقض نفسه، كيف يقول: هو إجماع ثم يذكر قولاً قبله أو بعده يخالف هذا الإجماع؟ هو له اصطلاح خاص في الإجماع حيث يطلق الإجماع على القول الأكثر، يقصد به قول أكثر العلماء كما نعبر ونقول: قول الجمهور يسميه إجماعاً، ولا مشاحة في الاصطلاح، فكثيراً ما يردّ بعض المعاني ويقول هذا القول لا نستجيزه؛ لأنه خلاف إجماع الحجة، وتجد بعض الروايات الإسرائيلية في الكتاب، وكثيراً ما يذم الرأي الذي لا يستند إلى دليل، أما التقعيد فكثير جداً، يقول مثلاً هذا القول يرتضيه مثلاً أو يردّ قولاً من الأقوال بأن هذا ظاهر القرآن، ولا يجوز خلاف ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وتجده يقول مثلاً: لا يجوز حمل معاني القرآن على المعنى النادر في الاستعمال، وإنما يحمل على المعنى المشتهر، فهذه قواعد يذكرها أثناء الترجيح، فهذا من الكتب التي إذا أراد طالب العلم أن يبني نفسه، وأن يقرأ كُتباً تنمي عنده الملكة في التفسير، وأن تكون دراسته مؤصلة فعنده مثل هذا الكتاب في كتب التفسير، وتفسير ابن كثير، وتفسير أضواء البيان، وما جمع من كلام ابن القيم فإنه في غاية الجودة والمتانة، وما جمع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فهذه خمسة كتب في التفسير تبني طالب العلم إذا أراد أن يقرأ ويعرف وجوه الترجيح، وكذلك كُتب الشاطبي خاصة "الموافقات" و"الاعتصام"، فهذه كتب تقعد، ولا يكفي مجرد الحفظ للأقوال فمهما قرأنا في التفسير سيُنسى ولو قَرأ كثيراً من الكتب في التفسير، لكن إذا قرأ كتباً تؤصل فإنه يبقى عنده الأصول والقواعد، والضوابط وتنمو ملكته ويكون له ذوق في التفسير هذا هو المهم، فينبه على بعض الانحرافات في التفسير الذين مثلاً يقتصرون على تفسير القرآن باللغة بعيداً عن أسباب النزول، بعيداً عن ملابسات النزول، كما يفعل بعضهم كأبي عبيدة معمر بن المثنى، ويبين أن هذا خطأ وانحراف في التفسير، وهذه أمثلة لمن يعتمد ظاهر القرآن، ولا يحيد عنه إلا لدليل، ويرد على من يؤول الآيات من غير دليل يقول: {كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [سورة البقرة:٦٥] يقول مجاهد: مسخ معنوي، فيرد عليه ويقول: الظاهر أنهم مسخوا فعلاً قردة، والقضايا التي لا فائدة فيها مما يشتغل به كثير من المفسرين يقول لك مثلاً: سفينة نوح –صلى الله عليه وسلم– من أي خشب كانت؟ تجد روايات كثيرة، كم كان طولها؟ كم كان عرضها؟ كم عدد الطوابق؟ كم رست؟ مَن أول من ركب فيها؟ من آخر واحد ركب فيها من الحيوانات مثلاً؟ كيف اجتمعت لنوح –صلى الله عليه وسلم– هذه الأشياء؟ إبليس أين كان؟ هل ركب السفينة أو ما ركب؟ وإن كان ركب كيف ركب؟ يقولون: تعلق بذيل الحمار، والحمار كان يحاول أن يركب ولا يستطيع؛ لأن إبليس كان متعلق بذيله، وكلما حاول الركوب يعجز حتى أذن نوح –عليه الصلاة والسلام–، فركب الحمار وإبليس متعلق في ذيله، وهذا الكتاب مبني على إسرائيليات وأكاذيب لا قيمة لها، ويذكرون أشياء عجيبة ومتناقضة، وما ذكر في المائدة التي أنزلها الله على بني إسرائيل أقوال متنافية، مثلاً الأشياء التي قيلت عن عرش ملكة سبأ أشياء عجيبة جداً، وغير صحيحة إطلاقاً، وكذلك عدد أصحاب الكهف مما لا يمكن أن يكون ذلك صواباً، وهذه القضايا أصلاً لا فائدة فيها، ولا ينبغي الاشتغال بها، ولو كان لها فائدة لبين

ذلك القرآن فينبغي الإعراض عنها، وهذا التفسير له مختصرات، ومنها مختصرات تُعنى بجانب معين هي قضية المفردات لابن جرير، كابن صمادح محمد بن صمادح التجوبي الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٤هـ سماه مختصر غريب القرآن للطبري مطبوع على هامش المصحف، ومن المختصرات أيضاً "مختصر الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن" كتبه أو جمعه اثنان دكتور بشار عواد معروف، والدكتور عصام الحرستاني، ومقصودهم بهذا العنوان الذي هو تفسير الطبري أنهم جاءوا بكلام الطبري الذي تكلم فيه مختاراً للمعنى مبيناً له، بمعنى أن ابن جرير يذكر المعنى الإجمالي في البداية فجمعوا هذا المعنى الإجمالي بعد كل الآيات، وضعوه وذكروا كلامه في الترجيح، وما يخالف به القراءة المشهورة قراءة حفص، إذا كان يرجح قراءة أخرى اختارها، يذكرون هذا، وكذلك قضايا النسخ ، وأيضاً له جمل وعبارات في الترجيح، ذكروا هذه الأشياء مع ذكر الأقوال في كثير من الأحيان، يعني قالت طائفة كذا، وقالت طائفة كذا، وأهملوا الأقوال البعيدة، والأقوال المطروحة تركوها، فجاء هذا كله في سبعة مجلدات تقريباً، هذا لمن قصد أن يقرأ كلام ابن جرير وطريقة ابن جرير في الترجيح والاختيار والتأصيل يمكن أن يقرأ هذا، وهو واضح وسهل بإذن الله –عز وجل– لا يشكل على من قرأه، بل لربما لو قُرئ على جماعة المسجد لن يكون هناك إشكال، سيفهمونه غالباً، ولو أنهم اقتصروا على المعنى الإجمالي فقط لكان أسهل تناولاً، ولكان من جملة كتب التفسير الإجمالي مثل تفسير ابن سعدي لكن فيه فرق في العبارة، عبارة ابن جرير حسب عصره، يعني هي تشبه عبارة ابن قتيبة بل لربما لو قرأها بعض الناس قد يستغرب منها في طريقة الضمائر، والتقديم والتأخير، والتعبير في بعض الألفاظ، وأحياناً تشعر بالكلام كأنه غير منتظم تماماً بطريقة؛ لأن كتاب ابن جرير حقق أجزاءً منه الشيخ محمود شاكر وأعانه على التخريج أخوه أحمد شاكر على تفاوت في الأجزاء، الأجزاء الأولى أكثر ثم بعد ذلك قل عمله، ثم بعد ذلك ضعف، صار يراجع لأخيه بعض الأشياء، الشيخ محمود شاكر لغوي وأديب وكان يطرب لما يقرأ كلام ابن جرير ويتذوقه وشديد الإعجاب به فكان يضع علامات الترقيم فسهّل كثيراً من كلام ابن جرير فأحياناً يضع الشرطة الواحدة التي تدل على أن هذا الكلام مرتبط بالكلام الذي قبله بعد شيء من توسع، ثم يرجع ويقرر المسألة إلى غير ذلك من الأنواع، والذين اختصروه استفادوا من عمل الشيخ محمود شاكر من علامات الترقيم، وضبط الألفاظ، وكذلك طبعة هجر، استفادوا الطبعة الكاملة لابن جرير، فأفضل خدمة قدمت للكتاب هي عمل الشيخ محمود شاكر لكنه لم يكمله، والطبعة الكاملة التي طبعت أخيراً طبعة دار هجر التي أشرف عليها الدكتور عبد الله التركي خدمت إلى حد كبير، لكن هذا المختصر هذه مزيته لو أن الإنسان أراد أن ينظر في طريقة ابن جرير في الترجيح والاختيار فيمكن أن يقرأ هذا المختصر، وبعض الناس يقول: إن تفسير ابن جرير هذبه ابن كثير وجاءنا بالخلاصة، وهذا كلام من لا يعرف تفسير ابن جرير، ولا تفسير ابن كثير، فتفسير ابن كثير كتاب مستقل تماماً عن تفسير ابن جرير، ليس بمختصر ولا تهذيب، فهو كتاب آخر من كتب التفسير بالمأثور، وتفسير ابن جرير يعتبر من الكتب الأصلية يعني من الأمهات في التفسير في علم الرواية، وكذلك في الأبواب الأخرى في الترجيح، والتقعيد، والقضايا اللغوية، وما أشبه ذلك، ومن كتب التفسير أيضاً كتاب آخر اسمه تفسير القرآن لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر صاحب كتاب الإجماع، الإمام المشهور المتوفى سنة ٣١٨هـ، وهو من الكتب المفقودة، وهو من كتب

التفسير بالمأثور، ويعتبر أيضاً من الكتب التي تُعنى بالرواية سرداً من غير أي تعليق بالأسانيد، وقبل سنين في حدود سنة ألف وأربعمائة –تقريباً– وثمانية ظهر فهرس في تلك الأيام في كتب كثيرة جداً قالوا: هذا فهرس مكتبة جوتة في ألمانيا الشرقية، وهذا الفهرس فيه الكتب العظيمة ومنها تفسير ابن المنذر، وفيه كتب في التفسير، وفي الحديث وفي غيره، وتفسير ابن حميد بخط ابن حجر، وخط ابن تيمية، ولم أستطع أن أقرأ أكثر من ورقتين من هذا الفهرس، والشيخ حماد الأنصاري –رحمه الله– سماه مسيل اللعاب، وذهب بعض الباحثين إلى جوتة وبحثوا عن هذه المكتبة فوجدوا مكتبة صغيرة فيها كتب في ألمانيا الشرقية، ولم يجدوا أثراً لهذه الكتب التي تذكر وسألوا وقالت لهم المشرفة على المكتبة: توجد مكتبة أخرى في مكان آخر لم يجدوه، لكن عثر بعد ذلك في ألمانيا الشرقية على قطعة من هذا التفسير، رأيتها قليلة ليست كثيرة حققها أحد الإخوان، وطبعت في مجلدين قبل سنوات من آية **{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ}** [سورة البقرة:٢٧٢]، إلى قوله: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}** [سورة النساء:٩٢]، وتفسير ابن المنذر يعتبر من الكتب التي تُعنى بالرواية لكن إذا قارنت بين الروايات الموجودة فيه، والروايات الموجودة في تفسير ابن جرير، تجد أن تفسير ابن جرير أكثر بكثير لكن تبقى المرويات بالنسبة لهذا الكتاب لا تقارن بمثل تفسير عبد الرزاق، أو تفسير ابن وهب وأمثال هؤلاء، فيبقى أنه مصدر من المصادر المهمة في التفسير بالمأثور لو وجد، وكذلك لو وجد تفسير ابن مردويه، ومن الكتب في التفسير بالمأثور "تفسير القرآن العظيم" لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم المتوفى سنة ثلاثمائة وأربع وعشرين، وهذا الكتاب وُجدت أجزاء منه، وحقق في جامعة أم القرى، جميع الأجزاء برسائل، ثم بعد ذلك لم يتفقوا على طريقة في إخراج الكتاب، وحذف المقدمات ،والمكررات في التراجم والهوامش،فخرج على هيئة رسالتين هما اللتان طبعتا، وبعد ذلك خرج في طبعة تجارية في عشرة مجلدات، والكتاب فيه خروم، ونواقص في بعض المواضع، وحاول الذين أخرجوه أن يكملوا النواقص قدر الإمكان ممن ينقلون عن أبي حاتم، مثل تفسير ابن كثير، والعجيب أن ابن كثير –رحمه الله– إذا نقل عن أبي حاتم في كثير من الأحيان يذكر ذلك بالإسناد فجاءوا بهذه المرويات، وكذلك ما في كتاب الدر المنثور للسيوطي من المرويات، ففيه مرويات كثيرة من طريق أبي حاتم فجمعوها ووضعوها في أماكن النواقص، وكملوا قدر المستطاع فظهر الكتاب في عشرة مجلدات، وهذا يعتبر من الكتب الأصيلة المهمة فهو يسرد الروايات فقط من غير تعليق عليها، ولا يبين الصحيح من غيره، وإنما يسردها سرداً، وهو كتاب يتوسع في ذكر الرواية، لكن تأتي أهمية الكتاب من جهة أنه مسند ومن جهة كثرة ما حواه من المرويات، ومن الكتب أيضاً "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" لأحمد بن محمد الثعلبي المتوفى سنة أربعمائة وسبعة وعشرين، وقيل أربعمائة وسبعة وثلاثين فهو كتاب واسع وقد طبع أخيراً وهو في نسخته الخطية المخطوط في اثني عشر مجلداً في رسائل جامعية كثيرة، وهذا الكتاب ليس بمنزلة الكتب التي قبله من ناحية الجمع؛ لأنه مولع بهذا الجمع لاسيما ذكر القصص والأخبار والإسرائيليات، فكل خبر أو قصة أو حادثة لم تجدها في شيء من المصنفات في التفسير فارجع إلى تفسير الثعلبي فقد تجدها فيه، فهو لا يميز بين الغث والسمين، والمكذوب، المهم أن يحشد قدراً ممكناً من هذه الأخبار والمرويات ويذكر أسانيده في ذلك، هذا الكتاب الواسع اختصره إمام من الأئمة وهو أبو محمد

الحسين بن مسعود البغوي، الإمام البغوي صاحب كتاب أهل السنة وهذا التفسير "معالم التنزيل الذي يسمى بتفسير البغوي" المتوفى سنة ٥١٦هـ، جرده من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- سئل عن هذا التفسير، وعن تفسير القرطبي والزمخشري فاعتبر هذا الكتاب أسلم هذه الكتب من البدع، ومن هذه الأحاديث الضعيفة، فيه روايات ضعيفة لكنه حاول أن يجرده منها، وحذف الأسانيد التي يذكرها الثعلبي، لكنه ذكرها في المقدمة إلا إذا روى عن أحد من طريق آخر غير ما ذكره في المقدمة، فإذا روى بإسناد غير أسانيده التي في المقدمة -طريق آخر- يذكر الإسناد، وفيه روايات عن الكلبي وأمثال الكلبي من الضعفاء، وإذا ذكر القراءات فإنه يذكر القراءات المتواترة فقط، ولا يذكر الشواذ، وتجد فيه القضايا اللغوية والإعرابية قليلة، وهذا الكتاب يعتبر إلى الاختصار أقرب، ولذلك كان متداولاً عند العلماء في هذه البلاد، يُقرأ كثيراً على الشيوخ، ويدرسونه في المساجد، وهو من هذه الناحية يعتبر أخصر من ابن كثير، وعلى عقيدة أهل السنة، وتفسير ابن كثير ربما يتعب طلاب العلم في قراءته إذا كان ككتاب يدرس تعليمياً؛ لكثرة الروايات و تشعبها، والتكرار أحياناً، وكان يمكن الاكتفاء ببعض هذه الروايات، ولذلك كان الذي يدرس في الكثير من الأحيان تفسير البغوي لهذا السبب، لكن الآن حينما ظهرت بعض المختصرات الجيدة لابن كثير مثل اختصار أحمد شاكر، و"المصباح المنير" فهذه يمكن أن تقرأ في المساجد لطلاب العلم، ويعلق عليها وتشرح؛ لأنه حُذف منها تكرار الروايات، وكذلك حاولوا أن يجردوها من الروايات الضعيفة، ويوجد في تفسير البغوي بعض الروايات الإسرائيلية من غير تعقيب، وفي بعض الأحيان يورد بعض السؤالات والإشكالات ويجيب عنها، ينقل الخلاف عن السلف في التفسير ولا يرجح، فتفسير البغوي هو عبارة عن اختصار للثعلبي، والخازن اختصار للبغوي، اختصر البغوي وحذف الأسانيد، وبدّل ما كان البغوي ذكر في أول الكتاب أسانيده، الخازن عزا الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب المعروفة المشهورة مثل كتب الصحاح والمسانيد، والسنن، والمعاجم وما أشبه ذلك برموز تشير إليها، وإذا انفرد البغوي بشيء -يعني بهذه المرويات- عزاه إليه بسنده، إذا كان بإسناد الثعلبي، قال روى البغوي بإسناد إلى الثعلبي، ويذكر بعض غريب الحديث، ويذكر بعض الفوائد التي زادها من كتب التفسير، ينقل نقولات يستحسنها لكن من غير أن يناقشها، ومن كتب التفسير بالمأثور تفسير الإمام ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" لعماد الدين وأبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٤٧٤هـ، طريقة ابن كثير يُكثر من تفسير القرآن بالقرآن، ويذكر التفسير بالسنن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- والآثار عن الصحابة فمن بعدهم، ويتكلم عن بعض الروايات، ويناقشها، ويُعنى بالترجيح بين الأقوال ويختار، وأحياناً يذكر الأقوال من غير ترجيح، وينبه في كثير من الأحيان على المرويات الإسرائيلية، ويشير إلى الأحكام الفقهية من غير توسع، ويذكر في القراءات، وله مختصرات كثيرة، من أجود هذه المختصرات اختصار الشيخ أحمد شاكر وهو عمدة التفسير قد طبع منه خمسة أجزاء في مجلدين قديماً، ثم بعد ذلك ظهرت قبل سنوات بقية الكتاب، إذ طبع بكامله في نحو أربعة مجلدات كبار، وذكر الذين طبعوه أنهم وجدوا نسخة الشيخ أحمد شاكر في بقية التفسير قد ضرب على الأشياء التي يريد أن يحذفها باللون الأحمر، فجاءوا وأخرجوا ما لم يضرب عليه وطبعوه، وظهر الكتاب بهذا الاعتبار كاملاً، ويمكن أن نقول: إن هذه كانت بداية عمل للشيخ أحمد شاكر

-رحمه الله- وبعد ذلك توفي، ولهذا ما خرج، وإلا فقد كان الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- يخرج ما يكتبه في حياته قبل أن يكتمل، ومن المختصرات المصباح المنير وهو مشابه إلى حد كبير جداً لاختصار الشيخ أحمد شاكر، كلاهما حاول أن يحذف المكررات، والمرويات الضعيفة يعني من المرفوع أما الموقوف فلو حقق لكان هذا أفضل، لكن هذا يحتاج إلى جهد كبير، فالشاهد أن تبقى مسألة التصحيح والتضعيف قضية اجتهادية، والذين حاولوا تجريده من المرويات الإسرائيلية -مع أنه توجد بعض الأشياء- حافظوا على عبارة ابن كثير، ويبقى كل عمل يمكن أن يستدرك عليه، ولذلك تجد في بعض الأشياء أحياناً تكراراً، لأنه لو حذف هذه الرواية قد يُعتقد أن هذه الرواية ضعيفة، وقد تجد بعض النقص يعني ابن كثير فسر مثلاً هذه الجملة من الآية فينسى المختصِر، قد يصيبه ذهول فيترك هذا الجزء أحياناً لكنه قليل، ففي المصباح المنير مثلاً تجد ابن كثير ذكر قولين أو ثلاثة أقوال ولم يرجح، وتجد المختصر يذكر قولاً واحداً منها من عدة أقوال ذكرها ابن كثير -رحمه الله- ولم يرجح، وكان الواجب على المختصر أن ينبه على هذا، أو يذكر هذه الأقوال باختصار، وأحياناً مثلاً في" المصباح المنير" قد تجد اختصار العبارة فيه تسعف، يعني لا يتضح مراد ابن كثير من هذه العبارة، وكان الأولى أن يكتفي بنقل كلام ابن كثير حتى يتضح مراده -رحمه الله-، وهذا عمل بشري والكمال لله -عز وجل-، والعبرة بما غلب، وهو اختصار جيد ومفيد.

وهذا الكتاب "تفسير ابن كثير" طبع طبعات كثيرة جداً، وانتشر انتشار الشمس، ويمكن أن يكون مصدراً للتجارة لدى كثير من الطابعين، فطبع هذا الكتاب بتحقيق عبد العزيز غنيم وزملائه، اعتمدوا على نسخة الأزهر، والنسخة الأزهرية فرغ منها الناسخ سنة ٨٢٥هـ، يعني بعد وفاة المؤلف بخمسين سنة، وهذه النسخة كما ذكر المحققون أدق النسخ، وهي النسخة الأولى، والحافظ ابن كثير -رحمه الله- حينما كتب تفسيره كان يعيد ويحذف عبر السنتين، ويضيف بعض الإضافات، ولذلك الذي يحقق ذلك الكتاب لربما يظن أن هذا من باب زيادة النساخ، أو السقط أو نحو ذلك فهذه النسخة الأولى، والمؤلف زاد عليها بعض الزيادات بعد ذلك، ولذلك لو قارنا بين بعض المطبوعات مثلاً ستجد تفاوتاً، أحياناً تجد زيادات أربعة أسطر أو خمسة أسطر، وتوجد في بعضها نقولات عن الزمخشري وغيره، وهذا مما يُصعّب حقيقةً التوحيد بين النسخ، فالنسخة الأزهرية هي النسخة الأولى وما بعدها أضاف فيها المؤلف زيادات من الزمخشري والقرطبي والرازي، والشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- أثنى على هذه النسخة، وهم أيضاً رجعوا إلى مصادر ابن كثير التي نقل منها، وقابلوا عليها، وألحقوا بكل مجلد تسعة فهارس، يعني للسورة فهرس، هناك فهرس موضوعي، وفهرس للأعلام، وفهرس للغريب، وفهرس للشعر، وفهرس للبلدان، وفهرس للقبائل والموضوعات، مطبوعة، اسمها طبعة الشعب وهي من أحسن الطبعات، هناك مصورة لدار المعرفة في بيروت سنة ١٤٠٢هـ لا يوجد عليها أي معلومات، وطُبع أجزاء منها بتحقيق الشيخ أبو إسحاق الحويني اعتمد فيها على عدة نسخ من ذلك نسخة من مكتبة الأوقاف في بغداد كتبت سنة ٧٥٩هـ في حياة المؤلف في عشرة مجلدات، حصل منها على ثلاثة أجزاء فقط، الرابع، والتاسع، والعاشر، ونسخة أخرى في حياة المؤلف حصل منها على مجلد واحد وهو السادس، ونسخٌ أخرى في حياة المؤلف حصل على مجلد واحد هو الأول، نسخة الأزهرية، ولم يتمكن من تصويرها كاملة، فرجع على طبعة الشعب التي اعتمدت عليها النسخة

الوحيدة الكاملة التي عنده، وهناك طبعة أخرى طبعة دار الصديق، مؤسسة الريان بلبنان الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، بتحقيق مازن البحصلي البيروتي، جمع بعض أحكام الألباني -رحمه الله- على الأحاديث، إضافة إلى أحكام بعض المتقدمين والمتأخرين كالإمام أحمد، وابن معين، وابن حبان، والبخاري، وابن الجوزي، وابن حجر، والذهبي، ولم يحقق النسخة الخطية، وهذا أهم شيء، وإنما اعتمد على طبعة أولاد الشيخ للتراث في القاهرة، وهذه الطبعة اعتمدوا فيها على نسختين خطيتين كاملتين، وأثبتوا الفروق بالهامش مع التخريجات، ويقول: إنه أخرج الكتاب واشتغل عليه في سنة ونصف، وهذه لا تعتبر من النسخ المحققة، لا تحقيق روايات، ولا تحقيق نسخة خطية، وهناك طبعة أخرى طبعة المكتبة التوفيقية في مصر قال: تعليق وتخريج: هاني الحاج، وخرجت الأحاديث على كتب الألباني، وأسباب النزول من الصحيح المسند للوادعي، والصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي جزء صغير، بحث في السنة الرابعة سنة التخرج من الجامعة الإسلامية، اشتملت على القليل من الصحيح في أسباب النزول، ونقل فوائد من كتب الألباني، وابن عثيمين، وبكر أبي زيد -رحم الله الجميع-، أيضاً من طبعات هذا الكتاب طبعة مكتبة الصفا سنة ١٤٢٤هـ، واختصر تفسير ابن كثير وذكر تعليقات للشيخ الألباني -رحمه الله- قالوا: إنهم اختصروا الأسانيد، وحذفوا الأسانيد الضعيفة، وقالوا هنا: إنهم نقلوا تعليقات من ابن سعدي، وهذا لا يعتبر من النسخ المحققة.

والنسخة المحققة التي يعتمد عليها طالب العلم طبعة لدار ابن حزم في بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ولا يوجد أي تفاصيل أو معلومات أو تعليقات عن هذه الطبعة، وهي تعتبر جيدة من حيث النص أشبه ما تكون بطبعة مكتبة أولاد الشيخ، لكن يوجد بعض الفروقات القليلة، وتوجد أيضاً طبعة دار الفجر للتراث في القاهرة تحقيق: حامد أحمد الطاهر الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، هذا خرج الأحاديث من الكتب الستة، وأحمد، واعتمد في أحكامه على الألباني، والشيخ أحمد شاكر، والأرنؤوط، وكتبَ على الغلاف هذه النسخة موافقة لطبعة الشيخ الألباني، وهذا كلام تجاري، ولا تعتبر طبعة الشيخ الألباني أفضل طبعة.

وهناك طبعة دار ابن كثير في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، كُتب عليها: مصححة ومنقحة ومضبوطة بالشكل، ومقابلة على أصول ونسخ معتمدة، ولا يوجد أي صور للمخطوطات المعتمدة، ولا هوامش ولا أي معلومات إطلاقاً، وطبعة دار طيبة يمكن أن يقال: إنها أفضل طبعات تفسير ابن كثير من ناحية التحقيق والعناية بها، طبعت أكثر من طبعة بإخراج أول، ثم بعد ذلك صار فيها استدراكات، وجاءت مراسلات للمحقق واستدرك بعض الأشياء تحقيق: سامي السلامة الإصدار الأول خرج في طبعتين طبعة ١٤١٨هـ، و١٤٢٠هـ، والإصدار الثاني الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، والطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، هذا قابلها على نسخة خطية كاملة، وعشر نسخ تستوعب بمجموعها التفسير، واعتمد أيضاً على طبعة الشعب بالنسبة للنسخة الأزهرية، ما حصل عليها يعني ما مكنوه منها، لكن اعتمد على طبعة الشعب؛ لأنها معتمدة عليها مجموع النسخ الخطية ١٥نسخة، وعلى المطبوع اعتمد على طبعتين، فهذه التي يُنصح باقتنائها، وهناك طبعة دار الراية تحقيق: الشيخ مقبل الوادعي، وهذه ليست تحقيقاً للنص الخطي، يعني نص الكتاب النسخة الخطية أو نص المؤلف وإنما هي تحقيق اعتمد على المطبوعات، وفي هذه الطبعة أخطاء كثيرة، ولم يخرج منها إلا جزء واحد، وطبعة مكتبة أولاد الشيخ طبعة سليمة وجيدة، وحينما كانت طبعة الكتاب -قبل هذه الطبعات

المخدومة المعتنى بها- هناك طبعة الشعب تجد أشياء في طبعات أخرى ليست في طبعة الشعب عند المقارنة، قبل ظهور طبعة مكتبة أولاد الشيخ، وطبعة دار طيبة، فتوجد في بعض الطبعات الأخرى نصوص ليست موجودة في طبعة الشعب، والسبب في هذا أن ابن كثير -رحمه الله- كان يزيد في كتابه ويضيف إليه، ولا نستطيع أن نقول: إنه حذف بعض الكلام، والشاهد أن الإنسان يضيف ويحذف في الكتاب إلى أن يموت. ومن الكتب في التفسير بالمأثور كتاب "الدر المنثور" للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وهذا الكتاب مختصر لكتاب آخر مسند للسيوطي، وقد ذكر في الإتقان جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه بضعة عشر ألف حديث، ما بين مرفوع وموقوف وقد تم ولله الحمد في أربعة مجلدات، وسميته "ترجمان القرآن" هذا مسند بالأسانيد، وقال في مقدمة الدر المنثور: فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتم بحمد الله في مجلدات فكان ما أوردت فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، ورأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته بـ"الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، وله كتاب آخر سماه "مجمع البحرين ومطلع البدرين" كتاب كبير لم يكمله، لضخامته، وكتاب الإتقان في علوم القرآن يعتبر مقدمة لكتاب مجمع البحرين ومطلع البدرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في كتب التفسير (3)

تتمة التعريف بكتب التفسير

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

وكتاب الدر المنثور كتاب مختصر من جهة الأسانيد ليس فيه إسناد، وهو أوسع كتاب وقفنا عليه من جهة المرويات، سواء المرفوع منها أو غير المرفوع من أقوال الصحابة والتابعين، وهو كتاب في غاية العجب؛ لأن المؤلف كتبه وجمعه من كتب كثيرة جداً، جمعه من كتب التفسير المختلفة التي وصل إلينا بعضها ولم يصل الكثير منها، وكتب التفسير كما قال الحافظ ابن حجر التي يرجع إليها ولا يكاد يخرج منها شيء من المرويات في التفسير هي تفسير ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وتفسير ابن مردويه، وهذه الكتب لا يمكن أن يخرج منها شيء من الروايات، وللأسف تفسير عبد بن حميد لا أثر له، وابن أبي حاتم فيه نقص، وابن المنذر موجود منه شيء يسير جداً، وتفسير ابن مردويه غير موجود، ويبدو -والله أعلم- أن السيوطي وقف على هذه الكتب جميعاً بدليل أن الكتاب مليء بالنقل عنها، والكتاب اختصره السيوطي من كتابه الآخر ترجمان القرآن، وترجمان القرآن بالأسانيد فيمكن أن يكون حصل على الأسانيد في هذه الروايات من كتبهم، ولو وُجد الأصل "ترجمان القرآن" لربما عوضنا عن الكتب المفقودة من الأمهات في التفسير، لكن للأسف فُقد هذا الكتاب، ولمعرفة قدر هذا الكتاب العجيب يمكن أخذ أي رواية من الروايات في التفسير عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعن غيره والقيام بتخريجها من أي كتاب من الكتب، وفي فترة زمنية كافية يوم أو يومان، ثم يُنظر لكتاب الدر المنثور ويمكن المقارنة بين هذا التخريج وما في كتاب السيوطي من العزو ستكون النتيجة أن السيوطي ذكر ما تم تخريجه وزيادة، فالسيوطي -رحمه الله- مثلاً يقول: أخرج النسائي والطبراني في الأوسط والكبير والإمام أحمد في المسند وأبو الشيخ مثلاً في الأمثال، وأخرج فلان في جزء كذا، وأخرج فلان في كتاب الدعاء، وكتب تفسير أحياناً كابن جرير وعبد بن حميد، والمنذر، ويأتيك بكتب أخرى، يسرد مجموعة في التخريج، يسمي مجموعة من المصنفين، والإنسان لا يستطيع أن يستحضر كل جزئية في كل آية من آيات القرآن وأنه سيحتاج إلى هذه الآية في المكان الفلاني، فكيف إذا نظر في المعاجم والسنن والمسانيد؟! سيصعب على الإنسان جمعها عند كل آية يحتاج إليها، وهو أمر لا يستطيعه فريق كثير من الباحثين؛ لأنه يحتاج إلى استحضار عند القراءة، ويصعب إعادة جرد هذه الكتب من أجل اختيار الرواية المناسبة، فهذا الكتاب عجب -مع أن مؤلفات السيوطي بالمئات فله أكثر من ثلاثمائة مؤلف- ولو وجد أصله لكان فيه خير كثير، وكتب التفسير بالمأثور كثيرة، وهناك من جمع المرويات في التفسير بالمأثور من الكتب الستة، وهناك من حاول أن يجمع المرويات الصحيحة في التفسير بالمأثور مثلما فعل الدكتور حكمة بشير في "الصحيح المصبور من التفسير المأثور" طبع في أربعة مجلدات، ولم يستوعب كل الصحيح مع طول المدة التي بقي يدرس فيها الروايات، وكان يحرص على أن يذكر الروايات الصحيحة من المرفوع والموقوف، بقي سنين طويلة ومعه فريق

من الباحثين، وخرج في أربعة مجلدات وكان بالإمكان -والله أعلم- أن يكون أكثر من هذا، فالروايات الصحيحة كثيرة جداً.

ومن كتب التفسير التي تعنى بالمأثور "المحرر الوجيز" لابن عطية المتوفى سنة 546هـ، وهذا الكتاب اسم على مسمى فهو محرر وهو وجيز، فعبارته وجيزة ومحررة وليس فيه استطرادات، ولا يطغى فيه جانب على جانب، فبعض كتب التفسير تغلب عليه الصنعة التي يتخصص فيها المؤلف، فإذا كان المؤلف مثلاً مثلاً من أهل العربية وجدت النحو مثلاً والإعراب، أو وجدت الجوانب البلاغية أو وجدت الفقه إذا كان فقيهاً وهكذا، بخلاف هذا الكتاب فإنه يشتمل على جوانب مختلفة مما يحتاج إليه الناظر في التفسير دون أن يطغى جانب على جانب، وقد قال عنه أبو حيان: إنه أجلّ من صنف في علم التفسير، يقول المؤلف -رحمه الله- عن كتابه هذا: إنه لخصه من كتب التفسير كلها، والكتاب سهل العبارة، لا يجد القارئ عنتاً في فهم عبارته، ولا تحتاج عبارته إلى فك، ويورد الآثار مع أنه لا يعد من جملة التفسير بالمأثور، مع أنه يستدل فيه ببعض الأحاديث وبأقوال الصحابة، ويورد بعض أقوال التابعين، وينقل عن ابن جرير كثيراً، ينقل ويناقش، فهو ليس بمجرد ناقل بل هو محرر، وعالم في التفسير، ضليع في العلوم المختلفة، وكثيراً ما يستشهد بالعربية، ويذكر ما يحتاج إليه من قضايا اللغة، وما يتوقف عليه المعنى فيما يتصل بالإعراب، تجد فيه إعرابات، وكذلك القراءات المتواترة والشاذة يوردها ويوجهها، وأما القصص فلا يُعنى بها، وإنما يورد منها أشياء مما يحتاج إليه في فهم المعنى، وينقل عن أهل العلم وينسب كل قول إلى قائله، وهذا ما يعرف اليوم في مناهج البحث بالأمانة العلمية، وأبو حيان ذكر في المقارنة بين هذا الكتاب وبين تفسير الزمخشري أن تفسير ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، أنقل يعني تجد فيه من الآثار والحديث، وأجمع يعني يعتني بالجوانب المختلفة بخلاف الزمخشري فيغلب عليه الجانب البلاغي واللغوي، وأخلص من الآفات والاعتزاليات والانحرافات مع أن المؤلف من الأشاعرة، واتهمه البعض بأنه من المعتزلة، وأن صنيعه أعظم من صنيع صاحب الكشاف؛ لأنه باسم أهل السنة، ولكن هذا الكلام غير صحيح، ويقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: إنه -يعني تفسير ابن عطية- خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، وقال: تفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذَكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل؛ لأن شيخ الإسلام ينتقد ابن عطية قال: فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين في مسائل الاعتقاد، يعني يأتي بكلام المتكلمين من الاشاعرة ويترك كلام السلف في الاعتقاد الذي يجده في تفسير ابن جرير، لكن ينقل عن ابن جرير من الآثار والقضايا الأخرى من المعاني دون قضايا الاعتقاد، فهذا ملحظ على هذا الكتاب وهو ظاهر في الكتاب لكن يبقى الكتاب من الكتب الجيدة المفيدة في التفسير، كتاب ملخص يُعني بالجوانب المختلفة، لو سألت قلت أريد كتاباً لا يطغى عليه جانب من الجوانب أريد ما أحتاج إليه في الجوانب البلاغية، بعض اللفتات، أريد ما أحتاج إليه من الإعراب، ما أحتاج إليه من القضايا الفقهية باختصار، وهكذا في القراءات وما شابه هذا، هذا الكتاب حاول أن يجمع هذه الأمور جميعاً بطريقة معتدلة متوازنة، وهذا شيء جيد في

التفسير، ومن الكتب التي تعنى بالجوانب البلاغية تفسير ابن عطية وهو في الواقع استفاد من تفسير المهدوي، لكن تفسير المهدوي ربما يكون أحد المصادر المهمة لابن عطية، وممن استفادوا من تفسير ابن عطية لدرجة واضحة وكبيرة القرطبي -رحمه الله- في كتابه "الجامع لأحكام القرآن"، والقرطبي متوفى سنة 671هـ، وهو من أعظم كتب التفسير وأجلها وأفضلها وأوسعها وأقعدها، فهو يعنى بالنكات واللغات والإعراب والقراءات والعقائد والأحكام وأسباب النزول، وعقيدته عقيدة المتكلمين الأشاعرة، ويعزو الأقوال إلى أصحابها والروايات إلى المصنفات التي ينقل عنها وأعرض عن كثير مما يذكره المفسرون من الإسرائيليات والقصص وما أشبه ذلك من الأمور التاريخية، هذا الكتاب من جهة المعاني وما يذكره من اللطائف والنكات اعتمد بدرجة كبيرة على تفسير ابن عطية، وضم إليه جانباً توسع فيه جداً وهو ما يتعلق بالأحكام الفقهية، فهذا الكتاب من الكتب التي تعتبر من كتب أحكام القرآن، لكن ليست التي تقتصر على آيات الأحكام فقط التي يسمونها500 آية، فهو يحاول أن يستنبط الأحكام من كل شيء بل حتى الاستنباطات البعيدة يردّ عليها، ففي قوله: **{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا}** [سورة الإسراء:37]، يقول: استنبط منه بعضهم تحريم الرقص، ثم يرد عليهم فيقول: الآية لا تدل على هذا، وهكذا فهو يُعنى بقضايا الأحكام حتى من القصص كما في قصة موسى والخضر وخرق السفينة، وكذلك في قوله مثلاً في قول يوسف -صلى الله عليه وسلم- في القصة المعروفة: **{وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ}** [سورة يوسف:72] فالذي نادى في قصة يوسف -صلى الله عليه سلم- في صواع الملك اتهم أخوة يوسف بالسرقة، وهذه مسألة الجعالة **{وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ}** ونحو ذلك، فالشاهد أنه يستنبط الأحكام من القصص، ومن كل موضع يمكن أن يستنبط منه، إضافة إلى المعاني، فالكتاب مليء بالعلم، والمؤلف -رحمه الله- من المالكية إلا أنه أبعد ما يكون للتعصب -رحمه الله رحمة واسعة- كان في غاية الإنصاف، واتباع الدليل والحق، فهو كتاب جليل القدر عظيم النفع لا يُستغنى عنه بحال من الأحوال، ويمكن إلى حد كبير أن يستغنى به عن تفسير ابن عطية؛ لأنه استفاد كثيراً من تفسير ابن عطية، لكن لا يمكن أن يستغنى بتفسير ابن عطية عنه بل ولا تفسير ابن عطية مع كتاب "أحكام القرآن" لابن العربي المطبوع في أربعة مجلدات -يختص بأحكام القرآن- لو ضممت هذا إلى هذا لم يفِ ذلك بتفسير القرطبي لاسيما قضية الإنصاف واتباع الحق والدليل، فالكتاب جيد لا يستغني عنه طالب العلم، ومن الكتب التي استفادت من هذا كتاب "فتح القدير" للشوكاني، وكذلك كتاب "فتح البيان في مقاصد القرآن" لصديق حسن خان، وكتاب فتح القدير للشوكاني يقول: إنه لخصه من كتب كثيرة جداً من كتب التفسير، لكن واقع الأمر أنه استفاد استفادة كبيرة من تفسير القرطبي، إلا أنه لم يتوسع توسع القرطبي فيما يتعلق بالأحكام، يذكر الأحكام لكن لا يتوسع فيها وضم إليه يعني زاد على الجوانب الموجودة في تفسير القرطبي بشكل واضح جداً وبإسهاب وتوسع إلى حد كبير زادَ من كتاب الدر المنثور وهو ذكر هذا في تفسير الكتاب، ويذكر هذا في ثنايا الكتاب -"الدر المنثور" للسيوطي-، ولا يرد كل ما أورده السيوطي في التفسير عند تفسير الآية لكنه يرد كثيراً مما ذكره ويحيل أحياناً، فيقول: وفيما ذكرناه كفاية ومن أراد التوسع في هذا يرجع إلى الدر المنثور، والدر المنثور محذوفة منه أسانيد الكتاب، وفيه الصحيح والضعيف ومن ثم فالشوكاني -رحمه الله- كان ينقل الصحيح والضعيف من الروايات المرفوعة وغير المرفوعة مما ينقله عن الصحابة والتابعين، طريقته في ذلك أنه حينما يورد المعاني بعد ذلك يورد تفسير الآيات من كتاب الدر المنثور، فكأنه يعيد التفسير

من جديد في كل مقطع يذكر تفسيره من جهة ما يسمى بالدراية؛ لأنه جعل الكتاب بهذا العنوان "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" فيورد الدراية أولاً، والدراية يقصد بها ما يتعلق بالاستنباط والمعاني وفهم الآيات، وما يتصل بها من إعراب ولغة وبلاغة، وما يتعلق بها من معانٍ فقهية يستخرجها، ونكات ولطائف إلى آخره، فالكتاب يذكر هذه الأشياء وبطريقة متوازنة، فهو يشبه تفسير ابن عطية، والقرطبي استفاد من ابن عطية وزاد عليه، والشوكاني استفاد استفادة كبيرة جداً من تفسير القرطبي إلا أنه لخص الأحكام من غير توسع، ولا يذكر الروايات أثناء التفسير، وإنما يذكرها بعد الفراغ من تفسير المقطع، ينتقل إلى إيراد المرويات من أول آية شرع يفسرها في هذا المقطع إلى آخر آية، وهذه الطريقة متعبة للقارئ، لذلك جاء صديق حسن خان في كتابه "فتح البيان في مقاصد القرآن" وأتى بهذه الروايات التي يفردها الشوكاني بعد التفسير بالدراية فنثرها أثناء التفسير، ووضعها في مواضعها فلا تحتاج أن تعيد كل رواية في موضعها، لكن لم يميز وينتقِ الصحيح من غيره، وعامة ما يذكره صديق حسن خان في فتح البيان هو كلام الشوكاني، إلا أنه زاد عليه بعض النقولات من بعض كتب المتأخرين؛ ولذلك يمكن أن يستغني طالب العلم بكتاب "فتح القدير" للشوكاني عن كتاب "فتح البيان" لصديق حسن خان، فالشوكاني –رحمه الله– مثلاً يقول: قد حققت هذه المسألة في كتابنا "السيل الجرار"، أو يقول: حققتها في كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، ويقول صديق حسن خان: وقد حققها العلامة الشوكاني في نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، أو يقول: حققها الشوكاني في السيل الجرار، يغير بدل "حققتها" "حققها" مع بعض الزيادات القليلة، بل حتى المقدمة وما فيها من الكلام على الحساد إلى آخره تجد تقريباً الكلام نفسه، فكتاب "فتح البيان" كبير يعني يقع في بعض الطبعات في ثمانية مجلدات وفي بعضها أكثر، فيمكن للإنسان أن يستغني عن هذا الكتاب خاصة غير المتخصص في التفسير، لو قلت: هذه الكتب متسلسلة ابن عطية، القرطبي، فتح القدير، فتح البيان، زبدة التفسير، أخبرني عن كتاب واحد يغني عنها جميعاً يمكن أن يقال: كتاب القرطبي جمع ما في ابن عطية وزاد عليه الأحكام، وأما الآثار الموجودة في فتح القدير –وهي زيادة على ما يذكره القرطبي– فهي موجودة في الدر المنثور نقلها منه، ولو قيل: أريد كتاباً يعالج الجوانب المختلفة من غير إطالة، فالقرطبي يطيل، فيمكن أن يقال: فتح القدير، لكن فتح القدير لا يصلح للطلاب المبتدئين؛ لأنهم سيتعبون في تتبع الأقوال في المسألة مع أنه ينبه فيقول: وهذه الأقوال ترجع إلى قول واحد، وأحياناً يذكر بعض الأشياء قد لا يوافَق عليها، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد، ولهذا إذا أردت أن تقارن مثلاً من ناحية القيمة العلمية بين ترجيحات الشوكاني وترجيحات ابن كثير، أو ترجيحات ابن جرير، أو ترجيحات ابن القيم أو ابن تيمية أو الشنقيطي في أضواء البيان، فكل هذه الكتب في الترجيح أقوى وأقعد من ترجيحات الشوكاني لكن يبقى هذا الكتاب من كتب العلم التي جمعت الجوانب المختلفة في التفسير، والمؤلف له لفتات في الكتاب، ويتكلم على تتبع المناسبات ويقول: هذا قول على الله بغير علم وتكلف، والمفروض أن يُعرض، ومع ذلك تجد غالب كلامه على الآيات يذكر المناسبة، وإن لم يصرح، فيقول مثلاً: بعد أن ذكر الله كذا وكذا ذكر بعده كذا وكذا فهذا هو عين المناسبة، مع أنه يعارض بقوة الذين يتتبعون المناسبات، ولا تكاد تقلب صفحة إلا وتجد فيها كلاماً على مناسبة، ويوجد له بعض الكلام الذي قد يفهم من ظاهره أن ترتيب الآيات ليس بتوقيفي، وهذا لا أعلم أحداً يقول به، وصرح به جماعة من أهل العلم مثل القرطبي وابن جرير وابن كثير وأمثال

هؤلاء، وعامة ما في الكتاب هو من القرطبي، وقد تجد بعض الأشياء التي قد يقف عندها طالب العلم، لكن كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد، والكمال لله -عز وجل-، والماء إذا بلغ القلّتين لم يحمل الخبث، وبما أننا نتكلم على كتاب من كتب التفسير فإننا ننبه على ما للكتاب وما عليه، فتوجد بعض الأشياء أحياناً غريبة، في بعض كلامه ظاهره أن الله لم ينزل على عيسى كتاباً، وفي موضع آخر يذكر كلاماً يناقض هذا، وكذلك في الكلام على آيات الصفات، ويُحكَم على التفسير بأنه من جملة تفاسير أهل البدع إذا التزم أصلاً بدعياً، أما إذا أخطأ في مثال أو مثالين أو ثلاثة أو عشرة أو نحو ذلك فلا يعد تفسيره من تفاسير أهل البدع، وهذا مثال على تفاسير أهل السنة تفسير الشوكاني -رحمه الله-، فهذا ليس من تفاسير أهل البدع مع أنه خالف أهل السنة في جملة من المواضع في نصوص الصفات وقضايا تتعلق بالاعتقاد، وتجد مثل هذه الأشياء -وفي القدَر- لغيره من علماء اليمن ممن هم من جملة أهل السنة، ومن المنافحين عن منهج السلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم- تجد هذا للمقبلي وللصنعاني والسبب في هذا -والله تعالى أعلم- أنهم درسوا مذاهب كما ذكر الشوكاني درسوا المذاهب المنحرفة بعد ذلك، الزيدية وعلم الكلام فلما رجعوا إلى طريقة السلف ما استطاعوا أن يتخلصوا من كل شيء، والشوكاني ذكر أن هذا من آفات دراسة العلوم الكلامية، وأبو الحسن الأشعري -رحمه الله- رجع عن مذهب المعتزلة لكنه لم يرجع مائة بالمائة وإنما بقيت عنده أشياء، وهكذا بعض الذين رجعوا تجد في العصر الحديث من مذهب الإمامية مثلاً البرقعي -رحمه الله- كتبه مطبوعة، لكنه لم يرجع إلى مذهب أهل السنة تماماً ولم تخل كتبه من كل لوثة من لوثات التشيع، لكن هذا غاية ما استطاع أن يصل إليه، والله -عز وجل- يغفر؛ لأن كل من بذل وسعه في طلب الحق فأخطأ فإن الله يغفر له ذنبه، ولا يجوز أن يعاب بهذا، ولا تُتبع زلاته على سبيل الانتقاص والعيب، لكن يمكن أن يذكر هذا لطلاب العلم من أجل معرفة قيمة الكتاب العلمية ما له وما عليه، أما تنقّص مثل هذا العالم والحط منه وما شابه فلا، وكل كتاب لابد فيه من النقص والخطأ حتى كتاب ابن جرير وغيره من الكتب.

كتب التفسير بالرأي:

كتب التفسير بالرأي تنقسم إلى قسمين: رأي يمكن أن يقال عنه: إنه رأي صحيح أو مقبول أو محمود، وهناك رأي آخر مردود أو مذموم أو مطرح، هذا التقسيم من حيث الكتب التي أدخلتُها تحت الرأي المذموم لا تجدونه في كتاب فيما أعلم؛ لأن الذين يكتبون ينقل بعضهم عن بعض، فأوائل الذين كتبوا في مناهج المفسرين في هذا العصر يذكرون كتب الأشاعرة على أنها كتب أهل السنة والجماعة، فإذا ذكروا الرأي المحمود ذكروا كتب الاشاعرة، وإذا ذكروا الرأي المذموم ذكروا كتب المعتزلة، فجاء من أبناء أهل السنة من كتب في هذه القضايا في مناهج المفسرين، وجعل ينقل عنهم الكلام كما ذكروه، وهكذا كثير من الذين يدرسون هذه القضايا في الجامعات وفي غيرها يرددون هذا الكلام، فنحن لابد أن نضبط هذه المسألة بضبط يتضح به المراد، والمقصود بالتفسير بالرأي التفسير بالاجتهاد ولا يكون تفسيراً بالنقل كالذي ينقل عن الصحابة والتابعين، وإذا كان المفسر يستنبط ويجتهد ويفسر القرآن بحسب المعطيات التي عنده فإن هذا يكون من قبيل التفسير بالرأي، ومسألة التفسير بالرأي فيها كلام كثير، وخلاصة ما يقال في ذلك: إن ما ورد من الذم -ذم تفسير القرآن بالرأي- فالمقصود به الرأي المذموم، الرأي الذي لا يكون بعلم، الذي يقول في القرآن بمجرد رأيه بالتخرص أو بالهوى، أو من غير أن

ينطلق من قواعد صحيحة في العلم فإن هذا لاشك أنه مذموم، وهذا يقع فيه كثير من العامة أحياناً، يعني تُطرح مسألة ويُسأل إنسان عن آية ويأتي بعض العامة ويسرع في الجواب ويذكر المعنى، وقد يصيب وقد يخطئ، ولا يجوز له أن يتكلم في هذا ولو أصاب فهو مخطئ، وهو مذموم؛ لأنه تكلم فيما لا علم له به، ومن توقف من السلف عن تفسير بعض النصوص برأيه أو نحو ذلك فهذا محمول على التورع، أنه تورع من ذلك أو أنه لم يتضح له المعنى، وأما هذا التفسير من حيث إنه سائغ وجائز لمن كانت عنده الأهلية فهذا لا إشكال فيه، وأبو بكر قال في مسألة الفرائض: أقول فيها برأيي، ولهذا اختلف الصحابة –رضي الله عنهم– في كثير من المواضع في تفسير الآيات، والتابعون اختلفوا، ولو تلقوا ذلك عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لما اختلفوا، وإنما قالوا باجتهاداتهم فوقع الاختلاف بينهم، وهذه مسألة يطول الكلام فيها، وهذه خلاصته: فما ورد من الذم فهو محمول على الرأي الفاسد الذي هو بالجهل والتخرص، فمن كان عنده قاعدة صحيحة في العلم ومتطلبات التفسير ففسر القرآن باجتهاده ويستنبط فهذا لا إشكال فيه، هذا فيما يتعلق بالتفسير بالاجتهاد والنظر والرأي، وهكذا حينما تستقرئ النصوص الواردة عن السلف في ذمه أو الإقرار بمثل هذا النوع من التفسير تخرج بنتيجة أن هناك من الرأي ما هو مذموم، ومن الرأي ما هو محمود، لابد أن نجعل ضابطاً يضبط المسألة.

ضابط الرأي المذموم:

إذا وُضع ضابط لمعرفة التفسير بالرأي المذموم من التفسير بالرأي المحمود واتفق عليه نستطيع أن نميز، وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– له كلام قيم يمكن أن يكون ضابطاً حيث قال –رحمه الله–: "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً"[1]، فلم يقل: من أخطأ، وإنما قال: "من عدل عن تفسير الصحابة والتابعين عدل عنه.. بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه"، يعني أن الرجل إن اتخذ منهجاً آخر في النظر والاستنباط والفهم عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم–، فقد يكون مجتهداً في فعله هذا، وهذا غاية ما به بذل وسعه والله –عز وجل– يغفر له خطأه، لكن هذا التفسير الذي بين أيدينا لم يكن على نفَس السلف الصالح –رضي الله عنهم– فيكون من جملة التفاسير البدعية، يقول: "ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله –صلى الله عليه وسلم–، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً"[2]، أخطأ في الدليل بمعنى أنه جعل الآية دالة على ما لم تكن دليلاً عليه، وأخطأ في المدلول إذا كان استدل بها على معنى باطل في نفسه، مثلاً هذا رجل يقول بأن الله –تبارك وتعالى– يشبه خلقه في صفاته، مثل طوائف المشبهة أراد أن يستدل على هذا في قوله تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى:11] أثبت السمع والبصر، وقال: هذان وصفان من أعلق الأوصاف بالمخلوق، فهذا أخطأ في الدليل، استدل به على التشبيه، وأخطأ في المدلول وهو المعنى الذي توصل إليه وهو التشبيه، أخطأ في الدليل والمدلول، ولو أن هذا الإنسان من الصوفية وأراد أن يستدل على رقص الصوفية، فبعض الصوفية يرقص في الحضرة والمولد فأراد أن يستدل على هذا بقوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ

---

1 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (361/13).

2 – المصدر السابق (362/13).

بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [سورة ص:42]، فقال: يعني الرقص، وهذا الدليل لا يدل على الرقص، فهذا خطأ في الدليل، والمدلول هو المعنى الباطل الذي أراد أن يصل إليه وهو الرقص، فأخطأ في الدليل والمدلول، وقد يخطئ في الدليل لكن المدلول صحيح، لكن الآية لا تدل عليه مثل لو أراد أن يستدل على تحريم الرقص بقوله: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} [سورة الإسراء:37]، فقال: هذا يدل على أن الذي يرقص يتبختر في مشيته، والله قال: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} استدل بها بعض الفقهاء على هذا، فالمعنى الذي أراد أن يصل إليه حق، لكن الدليل لا يدل على مطلوبه، هذا يسمى خطأ في الدليل لا في المدلول، وشيخ الإسلام –رحمه الله– يقول: "فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً، ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها إما عقلية وإما سمعية"[3]، قوله: "إما عقلية" يعني عنده قواعد وشبه يتشبث بها، "وإما سمعية" يستدل بدليل من المنقول.

فيمكن أن نقعد من هذا قاعدة تضبط الفرق بين التفسير المذموم والتفسير بالرأي المحمود فنقول –والله أعلم–: كل من التزم أصلاً بدعياً يحاكم إليه النصوص فتفسيره من قبيل التفسير بالرأي المذموم، كالذي يجعل القاعدة محدثة، قاعدة منحرفة يحاكم إليها النصوص، فيريد أن يجري النصوص على هذه القاعدة فتفسيره من قبيل التفسير بالرأي المذموم، قاعدة مثل في باب الأسماء والصفات من قواعد الجهمية من طوائفهم وعلى اختلاف درجاتهم، تجهم الجهمية وتعطيل المعتزلة والأشاعرة هؤلاء عندهم قواعد ماذا يقولون:

كلُّ نص أوْهَمَ التشبيه *** أوله أو فوّض ورُمْ تنزيها

يعني إما أن تؤوله "تحرف"، يسمونه تأويلاً، أو فوِّض وهو لا يدل على هذا المعنى الذي توهمناه، لكن الله أعلم بالمراد على اختلاف طوائف المفوضة، ففي نصوص الصفات {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [سورة الأعراف:54]، عندهم قاعدة: كل نص أوهم التشبيه عندهم فيقولون: استوى هذا يوهم التشبيه بالمخلوق، الاستواء يقولون:

قد استوى بِشرٌ على العراق *** من غير سيفٍ ولا دم مُهراق

فيقولون: قل: استولى، ولا تقل: استوى، أو فوض المعنى المتبادر من لفظة استوى على العرش وأن المعنى الظاهر غير مراد، فلا نخوض فيه، ما نحدد المعنى لكن قطعاً يقولون غير الظاهر المتبادر وهذا شيء عجيب، وابن جرير كان يجري الكلام على ظاهره، وهذه طريقة السلف، فلا يتجاوزون المعنى الظاهر إلا بدليل، ولا دليل لديهم، هذا مثال واحد في الصفات، ونستطيع أن نرد عليهم بسهولة، فنقول: أنتم تقولون استولى فالمخلوق يستولي، بل بالعكس إنما يكون الاستيلاء لمن كان عادماً للشيء وكان فيه مغالبة له فغلب واستحوذ عليه، فكيف شبهتم الله بالمخلوقين؟!، كيف شبهتم استواء الله على العرش باستيلاء بشر بن مروان على العراق؟!، وإذا فوضوا نقول لهم: أنتم جعلتم أعظم ما في القرآن وهو ما تعرّف الله به إلى عباده من أسمائه وصفاته جعلتموه لا يدرك معناه، ولا يراد به ظاهره فجعلتموه من قبيل الألغاز، وقلتم: الظاهر المتبادر غير مراد، فأي جرم وعدوان وجراءة على الله –عز وجل– وعلى كتابه أعظم من هذا؟!، والرد عليهم يطول، المهم هذا في باب الصفات.

---

3 – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (362/13).

وفي باب الوعد والوعيد: من قواعد الخوارج والمعتزلة أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، إلا أنهم يختلفون في باب الأسماء والأحكام فالخوارج يقولون: كافر، والمعتزلة يقولون: فاسق في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر لكنه مخلد في النار، فيتفقون على النتيجة خلود في النار، ويأتون للنصوص بهذه الطريقة فيركبونها على عقيدتهم، فما خالف عقيدتهم حرفوه، ولهم تحريفات في هذا في غاية الشناعة، يعني انظر مثلاً في باب الصفات لما قال الله: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [سورة النساء:164]، وهم يقرون بأن التأكيد بالمصدر ينفي احتمال المجاز وهذه قاعدة، فتورطوا في هذا المثال {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} أكده بالمصدر فلا يمكن أن يكون من باب المجاز، فقالوا: نعم كلمه تكليماً، الكَلْم يأتي بمعنى الجرح، جرحه، أي جرحه بمخالب الحكمة، فهذا التحريف، كل هذا من أجل {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} [سورة النساء:125]، فينفون الخُلة، يقولون: ليس من صفات الله أنه يحب، فضلاً على أن يتخذ أحداً من الناس خليلاً، ويقولون في قوله: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} هذا من الخلة، والخلة هي الفقر، أي: اتخذه فقيراً، كل الخلق فقراء إلى الله –عز وجل–، فيقعّدون قواعد فاسدة يجرون عليها النصوص، وقل مثل هذا في قواعد الصوفية، وقواعد المرجئة، وقواعد الطوائف المنحرفة جميعاً، فمن جعل أصلاً يحاكم إليه النصوص ويجريها عليه فتفسيره من قبيل تفاسير أهل البدع، والذين يكتبون في مناهج التفسير أغلبهم من الأشاعرة، أو ممن يظنون أن الأشاعرة هم أهل السنة، وبناء عليه يجعلون مثل تفسير الرازي من تفاسير الرأي المحمود، ويجعلون تفسير الزمخشري من قبيل التفسير بالرأي المذموم المعتزلي، جعلوه من قبيل التفسير بالرأي المذموم لأنه معتزلي، ويجري النصوص على قواعد المعتزلة، فيحرف المعاني والكلم عن مواضعه على قواعد المعتزلة، والأشاعرة نفس الشيء ولا فرق فيمن يحملها على عقيدته الأشعرية، أو الماتريدية، أو إن كان من الخوارج، أو إن كان من الباطنية أو غيرهم، فالقاعدة: كل من أصل أصلاً يحاكم إليه النصوص ويجريها عليه ويحرفها إن خالفت أصله فإن هذا يكون تفسيره من قبيل التفسير بالرأي المذموم، وإذا جهلنا هذا الأصل يُفهم الكلام على غير المراد، نحن نريد أن نجعل أصلاً.

والذين كتبوا من المتقدمين "التفسير المأثور" هؤلاء من أهل السنة على طريقة السلف الصالح، لكن الذين جاءوا من بعدهم صارت الفرق تؤلف المعتزلة والخوارج، والأشاعرة الماتريدية كل الطوائف صارت تؤلف؛ من أجل أن تنصر مذهبها بالقرآن، وهذه مشكلة كبيرة ولم يُقتصر على التفسير بل حتى أصول الفقه سُرق من قرون متطاولة من بعد الشافعي –رحمه الله– وما رجع إلى أهل السنة إلى الآن، فدخلت المؤلفات في أصول الفقه القضايا المنطقية والكلامية وصارت قضايا معقدة وصعبة وأشياء فلسفية، حتى البلاغة والنحو حتى أصبح صعباً عند الكثير من الناس، فهذه الكتب إذا نزلناها على هذا الأصل نحكم على هذا التفسير أنه من تفاسير الرأي المذموم أو الرأي المحمود، لكن هنا ينبغي أن يتنبه إلى أمر حينما نقول: إن هذا التفسير من تفسير الرأي المذموم هذا بناء على القاعدة التي ذكرناها، ولا يعني ذلك أن كل ما فيه سيئ ومذموم، فقد تكون نسبة الانحراف عند المؤلف لا تزيد على خمسة بالمائة من الأشياء التي في الكتاب، فحينما يقال: هذا تفسير بالرأي المذموم ليس معنى ذلك أن الكتاب يطرح ولا يستفاد منه، لكن الذي يستفيد منه من كان يميز هذه القضايا وهم طلاب العلم وأهل الاختصاص، أما العامة فنوصيهم بالكتب النقية كتب أهل السنة التي ليس فيها انحرافات، وسنذكر بعض الكتب، منها: كتاب تفسير "الكشاف عن حقائق التنزيل" للزمخشري وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن

عمر الخوارزمي الحنفي، ولد في رجب في سنة 467هـ، وتوفي في سنة 538هـ، فرغ من تأليفه في سنتين وأربعة أشهر، والذين تكلموا عن كتاب الزمخشري ذكروا أنه ذكر أشياء يعني أموراً فواقر وأموراً فيها جراءة عظيمة في التفسير على السلف الصالح، وعلى التحريف، لكن الكثير مما يذكرون غير موجود في الكتاب والسبب في ذلك أن الزمخشري حينما كان في طريقه إلى مكة إذا نزل في مكان يطلبون منه أن يفسر، وكان رجلاً صاحب بلاغة وبيان، فكان يفسر لهم القرآن، وكتب أشياء، طلبوا منه أن يكتب فكتب فكانت كتابته في غاية الجرأة في إظهار عقيدته الاعتزالية، وتحريف النصوص، والطعن في سلف الأمة فواجه إنكاراً شديداً، فقال: لأضعن لهم تفسيراً لا يستخرجون منه هذه الأمور يعني عقيدة المعتزلة، فدسها بطريقة في غاية الخفاء، فيأتي ويفسر مثلاً قوله تعالى: **{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}** [سورة آل عمران:185] يقول: فقد حصل له الفوز المطلق، المتناول لكل ما يفاز به، ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل رضوان الله، والنعيم المخلد وهو يقصد نفي رؤية الله –عز وجل–، أن المؤمنين لا يرونه وهذه عقيدة المعتزلة، فهو يقول: لا يوجد نعيم بعد دخول الجنة، ولما وصل إلى مكة طلب منه أميرها أن يكتب في التفسير، فجاور في مكة مدة ولهذا يقال له: جار الله، فبدأ يكتب بهذه الطريقة الخفية في دس الاعتزاليات، ولهذا تتبعه كثيرون بعدة حواشٍ سواء الذين يضيفون المعاني، أو الذين يتكلمون على شواهده الشعرية، أو الذين يناقشونه في قضايا الاعتزال من الأشاعرة وغيرهم، وهذه الحواشي فيها فوائد، فيها علم، فيها قضايا وشواهد شعرية كثيرة جداً، فهذا الكتاب يبرز وجوه الإعجاز، ولا يميز بين الصحيح والمكذوب، ولهذا جاء بالحديث الطويل في فضائل السور مع أنه موضوع، قطّعه وجزأه، ووضعه في آخر كل جزء، وهذا الكتاب فيه شتم لأعلام الأمة، فالزمخشري يسهب في المعنى الوجيز، وينسب المعاني لنفسه، ويكتب محرراً ما ينقل قال فلان، وقال فلان، تأويلاته كثيرة، ولذلك تتبعه ابن المنير وهو من الأشاعرة –رحمه الله– يقول: استخرجت اعتزالياته بالمناقيش، وهو مطبوع في حاشية الكشاف، ويشير للخلافات الفقهية، ويذكر الروايات الإسرائيلية بقلة، وهذه بعض النماذج من الكلام الذي يذكره:

يقول في رد التفسير النبوي ويرد على الصحابة في مواضع فيقول في تفسير قوله تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}** [سورة الأنعام:82]، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– فسر الظلم بالشرك، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فالمعتزلة يفسرونه على عقيدتهم الفاسدة أن صاحب الكبيرة مخلد في النار، فالظلم ليس الشرك وإنما هو الظالم، والظالم عندهم مخلد في النار، يقول: "وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس"، فهو الآن يرد التفسير النبوي، لم يلبسوا، وقوله: "لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم" يرد على النبي –صلى الله عليه وسلم–، وله أشياء من هذا على الصحابة مثلاً مع أنه حاول أن يخفي هذه الأشياء، يقول عند قوله تعالى: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ}** [سورة هود:107]، يقول: ولا يخدعنك قول المجبرة: إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار، يسميهم مجبرة، يقول: فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن ابن عمرو: "ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد..."، ثم قال: "وأقول: ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ما يشغله عن تسيير هذا الحديث"، يعني عن اختلاقه والكذب، والحديث لا يصح، وله أشياء من هذا القبيل، والله المستعان.

ومن التفسير بالرأي المذموم كتاب آخر اسمه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وهو المعروف بتفسير البيضاوي لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة 691هـ، وقيل 685هـ، وهذا الكتاب يعد من الكتب المختصرة نسبياً، ليس شديد الاختصار مثل الجلالين، وإنما هو أوسع، ولهذا قد يعده من نظر إلى الجلالين من الكتب المتوسطة، حاول أن يضمنه ما وجد يعني من كتب التفسير سواء من المنقول عن الصحابة أو التابعين أو من جاء بعدهم، واعتنى بالجوانب البلاغية، والنكات واللطائف، منها ما استنبطه، ومنها ما نقله عن غيره، وكذلك يذكر وجوه القراءات المشهورة سواء كانت متواترة أو غير متواترة، وهذا الكتاب كتبه المؤلف في عناية شديدة بحيث إنه يصلح أن يكون كتاباً تعليمياً، وهو على عقيدة الأشاعرة، بحيث إن الإنسان مثلاً أول ما يبدأ بتفسير الجلالين، ثم يدرس حاشية الصاوي على الجلالين، وإذا توسع درس حاشية الجمل، وإذا أراد أن ينتقل إلى شيءٍ آخر درس تفسير البيضاوي، وفي البلاد المشرقية يدرسون تفسير النسفي، وهذه التفاسير تستفيد من كتاب الكشاف، وتُعنى بالجوانب البلاغية، وهي كتب تعليمية، والذي يميز بين عقيدة أهل السنة، وعقيدة الأشاعرة يمكن أن يستفيد منها وأن يدرسها، أما الذي لا يميز فيبقى على الكتب التي كتبت على الاعتقاد الصحيح، وهذا الكتاب اعتنى به العلماء الذين لهم اهتمام بالتفسير عناية كبيرة، وكتبت عليه حواشٍ كثيرة جداً، منها المختصر، ومنها المتوسط، ومنها المطول، ومن الكتب أيضاً كتاب "مدارك التفسير وحقائق التأويل" المعروف بتفسير النسفي البيضاوي، وهو أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة 701هـ، وقيل غير هذا، والمؤلف حاول أن يجمع ما بين تفسير الكشاف للزمخشري وبين تفسير البيضاوي، وحاول لإخراج كتاب تفسير بلاغي يغني عن الكشاف بعقيدة أو بثوب أشعري، ومن هذه المحاولات تفسير النسفي، وهذا الكتاب وتفسير البيضاوي يُعتنى بهما في بلاد المشرق الماتريدية؛ لانتشار الأشعرية، والأشعرية والماتريدية بينها تقارب شديد، وإنما يختلفون في بعض التفاصيل في الاعتقاد، فحاول أن يتخلص من اعتزاليات صاحب الكشاف والإسرائيليات والأحاديث الموضوعة التي في الكشاف بل حاول أن يتخلص حتى من الأحاديث الضعيفة التي في البيضاوي، ولخص كثيراً مما في الكشاف والبيضاوي وأضاف إليها من تأويلات الماتريدي، والماتريدي له كتاب مطبوع في مجلدين اسمه "تأويلات الماتريدي" من الكتب المتوسطة بين الطول والقصر، مثل تفسير البيضاوي، يُعنى بالقراءات وتوجيهها، ويذكر وجوه الإعراب من غير تطويل، ويشير إلى الأحكام وهو حنفي المذهب، وزاد كثيراً من أقوال النحاة من غير توسع، ويسند القراءات إلى أصحابها، لكنه لا يقرأ القراءات الشاذة كما فعل البيضاوي، وإنما يقتصر على القراءات السبع فقط، فتفسير النسفي يشبه تفسير البيضاوي؛ لأنه يلخص من البيضاوي والزمخشري، وهناك كتاب "إرشاد العقل السليم" لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي المولود سنة 893هـ، وتوفي في القسطنطينية 982هـ، وهذا اعتمد على الكشاف والبيضاوي وزاد عليهما، لكنه أطول من تفسير النسفي والبيضاوي، ويُعنى بالجوانب البلاغية، ويعنى بالمناسبات بين الآيات، ويذكر القراءات وبعض الروايات الإسرائيلية، والمسائل الفقهية قليلة، والإعرابات فيه قليلة، وجُل عناية المؤلف بالنواحي البلاغية، فالكتب التي تعني بالنواحي البلاغية تفسير الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والرابع تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم"، و كتاب "روح المعاني" لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الألوسي، المولود في بغداد سنة 1217هـ، المتوفى سنة 1270هـ، بدأ تأليفه في1252/8/16هـ، وانتهى

منه 1267/4/4هـ، ألفه في خمس عشرة سنة، والكتاب كبير ومتوسع جداً، وإذا قرأت في هذا الكتاب تقرأ لرجل متفنن متضلع في علوم البلاغة، والعجيب أنه ألفه وهو صغير عمره 34سنة، وهذا الكتاب يصلح للمتخصصين في نظري في البلاغة؛ لأن غير المتخصص يتعب لغلبة الصنعة البلاغية على الكتاب، فهو يناقش كثيراً هل هذا استعارة مكنية أو استعارة تصريحية، ويناقش هل هذا مجاز عقلي أو مجاز مرسل؟ والقارئ العادي لا يعرف المجاز المرسل ولا المجاز العقلي، ولا الفرق بينهما، ويطيل الكلام في مثل هذه القضايا حتى يمل القارئ، صفحات طويلة، وينقل عن أبي حيان في البحر المحيط، وكشاف الزمخشري، وتفسير الرازي، وأبي عطية، وأبي السعود، والبيضاوي، وهؤلاء جميعاً عدا الأول -أعني أبا حيان- يُعنون باللطائف والنكات البلاغية، إلا أن أقلهم في ذلك ابن عطية، مع أنه يشير إلى أشياء باعتدال، وليست سمة بارزة على تفسير ابن عطية، واللطائف والنكات التي قد تعجب بها أحياناً في تفسير روح المعاني تجدها منقولة في الغالب من الرازي، وقد تكون نقلت من البيضاوي أو غيره، وإذا نقل عن أبي السعود يقول قال شيخ الإسلام، وإذا نقل عن البيضاوي قال: قال القاضي، وإذا نقل عن الرازي، قال: قال الإمام، فهذه مصطلحات له في الكتاب، ويرد على الشيعة وعلى المعتزلة في قضايا الاعتقاد وهو أشعري، وينقل كلام أهل الهيئة والأمور الكونية كما يفعل الرازي، ويستطرد في المسائل النحوية، والقضايا الفلكية، ويفصل في الفقه، ويورد الإسرائيليات ويناقشها، وكان بالإمكان الاستغناء عنها، ويعنى بالمناسبات بين السور والآيات، إذاً فمن الكتب التي تُعنى بذكر المناسبات تفسير أبي السعود، والألوسي، ويذكر القراءات، ويذكر المعاني اللغوية والشواهد عليها، ثم بعد ذلك كله يذكر المعاني والتفسيرات الإشارية – تفسيرات الصوفية-، والتفسير الإشاري يعني الصوفي على خلاف ظاهر القرآن، مثال من كلام الألوسي على آية: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً} [سورة البقرة:67] قال: هي النفس تذبح بسكين الطاعة، النفس يعني المجاهدة تحتاج أن تجاهد نفسك تذبحها بالطاعة، {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ} [سورة البقرة:68] قال: هذا الصوفي لا في شرخ الشباب والطيش، ولا في سن الضعف والشيخوخة، وسط، {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}، {قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا} [سورة البقرة:69]، صفرة وجوه أصحاب الرياضة النفسية، رياضة التصوف، صفرة عبادة ما هي صفرة مرض، صفرة تصير من العبادة وكثرة الاجتهاد في الطاعة والصيام، {تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} إلى آخره، وهذا خلاف المعنى الظاهر.

ومن الكتب التي تعنى بالجوانب البلاغية كتاب "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- بناه على قراءة نافع برواية قالون، ثم يذكر سائر القراءات العشر ويقتصر عليها، ويقتصر على القراءات المتواترة العشر، ولا يأتي بالشواذ وجرى في ترتيب السور حسب النزول على ما جاء في رواية جابر بن زيد، لا أنه رتب التفسير حسب الرواية، لكن حينما نزلت هذه الآية بعد كذا وقبل كذا بناء على الرواية التي جاءت عن جابر بن زيد، والرواية المشار إليها ضعيفة، ولا تصلح حتى الرواية الأخرى، ولا يصح في ترتيب النزول شيء، الروايات الواردة في هذا لا يصح فيها شيء، وينقل عن ابن عربي الصوفي، لم يتبين له أمره، يحسن الظن به، بل أبلغ من هذا تجد القاسمي -رحمه الله- على عقيدة أهل السنة، يقول: قال العارف الكبير ابن عربي، فهؤلاء العلماء -رحمهم الله- لم يتضح لهم حال ابن عربي، فأحسنوا الظن به، واضح؟ لا يعني أنهم يوافقونه، لكن كانوا يؤولون

كلامه ويحملونه على محامل أخرى، ويا ليته ما نقل عنه، ويطيل في المسائل البلاغية، وهو رجل جبل في العلم، رجل محرر وصاحب قلم، يعني من النوادر، فإذا كتب يكتب كتابة محررة، وإذا نقل ينقل جملة أو عبارة ليناقشها معدودة ويزن الحرف وهو يكتب، والكتاب كبير، الكتاب ضخم، وهذا الكتاب مليء بالعلم واللطائف والفوائد والتحريرات، ولكن يتنبه لقضايا العقيدة، فالمؤلف -رحمه الله- لربما لكثرة تضلعه بالعلم لا ينظر في كثير من الأحيان هل سُبق إلى هذا التقرير أو ما سبق إليه، فيحرر قناعاته، والإنسان لا يقول بقول ليس له فيه إمام، مع أنه ضليع في العلم منذ نشأته وصغره، وله كتاب في العلم والتعلم، يذكر أنه لو مشى على الطريق -في الطريقة- التي تفطن لها بعدما وصل إلى الرابعة والعشرين فيقول: لو تفطنت -ما احتجت لكثير من الدراسة على الشيوخ- إلى الأمور التي انقدحت لي، وكذا في طريقة التعلم، وفي كلامه كثير من الكلام الذي نذكره أحياناً في قضية الكتب والاستفادة من الدرس، وكيف تنتقل إلى كتاب أوسع وتعتني بالزيادة، ويكون عندك مراجعة، وكل الكتاب المفروض ما يتوسع فيه عن الحد الذي وضع له، وهو يطيل في المسائل البلاغية، وذكر في أول الكتاب مقدمات مهمة هي التي يعنى بتقريرها أثناء التفسير في كل الكتاب، يرى أن القرآن نزل لتقرير هذه القضايا وتأصيلها، واستفاد من الكشاف، وابن عطية، والرازي والبيضاوي، والألولسي، وحاشية الطيب على الكشاف، والغزويني، والتفتزاني على الكشاف، وحاشية الخشاف على البيضاوي، وتفسير أبي السعود، والقرطبي، وابن عرفة، وابن جرير، فهو يستنبط ويضيف ويناقش ولا يعتبر مجرد ناقل من هذه الكتب، ولذلك لو قال قائل: أريد كتاباً يعنى بالجوانب البلاغية، فيمكن إرشاده إلى تفسير ابن عاشور، ويُعنى -أيضا- ببيان وجوه الإعجاز، ونكات البلاغة، وأساليب الاستعمال، والمناسبات بين الآيات، ولا يعنى بالمناسبات بين السور، ومن فوائد هذا الكتاب ومزاياه أنه يبين أغراض السورة في أولها، ويتكلم عن المعاني الغريبة، المفردات، ونكات المعاني، وتوجد في هذا الكتاب لطائف ولفتات ودرر، ففي قوله تعالى مثلاً: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}** [سورة الإسراء:23]، يقول: فبدأ بقضية الاعتقاد؛ لأن إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل، فالناس أسرى لعقائدهم وأفكارهم كما هو معروف، فإذا أصلحت التفكير والاعتقاد استقام العمل، فبدأ بقضية التوحيد. فالكتاب مليء بمثل هذه النفائس، وفي كثير من كتب التفسير تجد في الغالب تكراراً بخلاف تفسير ابن عاشور ففيه أشياء عجيبة جداً وليست تحصيل حاصل، والمؤلف -رحمه الله- توفي وعنده حاشية على الكتاب وإضافات لم تطبع مع الكتاب للأسف، وهي موجودة عند أحفاده وأولاده، ومن الكتب كتاب "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله محمد بن عمر التميمي البكري الرازي، المولود سنة 544هـ، وتُوفي سنة 606هـ في الري، مات قبل إتمام كتابه وهذا متفق عليه، لكن المختلف في الذي أكمله، فذهب الحافظ ابن حجر إلى أن الذي أكمله هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين القامولي المتوفى سنة 727هـ، وهو مصري كما في الدرر الكامنة، وفي كشف الظنون ذكر تكملة أخرى للقاضي شمس الدين بن خليل الخُوَيِّي الدمشقي المتوفى سنة 637هـ، وذكر أن الرازي وصل إلى سورة الأنبياء، وأن التكملة لمن بعدهم، وتجد عند قوله تعالى مثلاً: **{جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [سورة الواقعة:24]، يقول: المسألة الأولى: وهي أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين -رحمه الله- في مواضع كثيرة ونحن نذكر بعضها، هي في سورة السجدة، يقول ذكرها في مواضع كثيرة ونحن نذكر بعضها، هذا يدل على أن هذا الموضع ليس للرازي، وتجد في الكلام على الآية السادسة من سورة المائدة **{إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ**

{وُجُوهَكُمْ} يستشهد بقوله: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}** [سورة البينة:5]، يقول الرازي: وقد حققنا الكلام في هذا الدليل في تفسير قوله **{وَمَا أُمِرُوا}**، وفي النساء يقول: حققناه في المائدة إلا إذا كان يقصد أنه سيحققه في سورة المائدة ولم يكن قد كتبه، وربما كان لا يكتب كتابة متسلسلة، وهذا الذي توصل إليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني -رحمه الله-، والشيخ ابن مانع في قطر -رحمة الله عليه- كتب يسأل الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني عن تفسير الرازي هل كل الكلام للرازي أو بعضه على الراوي وبعضه لغيره؟ فالمعلمي -رحمه الله- عالم وهمته عالية قرأ الكتاب من أوله إلى آخره، ثم بعد ذلك قراءة متأملة وبدأ يقارن في الأسلوب فجعل يحدد يقول من مقطع كذا إلى مقطع كذا ليس من كلام الرازي، وقسمه إلى نحو خمسة أقسام في مواضع متفرقة، فالمعلمي له رسالة مطبوعة في هذا مفيدة، وهذا خلاف كلام المتقدمين، يعني الذين قبله يقولون: إلى سورة الأنبياء لكن المعلمي ساق أمثلة وأشياء فيها إشارات أن البعض من كلام الرازي وبعض ذلك ليس من كلامه، وفي ثنايا الكلام، فقد يكون الرازي يكتب في مواضع متفرقة ثم توفي، مثل الأمير الصنعاني -رحمه الله-، فإن كتابه بدأ بالتفسير من أوله ثم بعد ذلك صار يكتب مقاطع متفرقة، ولم يكمل الكتاب، وهو عبارة عن تفسير بعض المواضع وليس على الترتيب، والرازي يذكر أشياء من الغرائب كما يقال حتى قال عنه ابن خلّكان في ترجمته في وفيات الأعيان: جمع فيه كل غريب وغريبة، يُعنى بقضايا علوم الفلك والهيئة والفلسفة والمنطق، ويقول أبو حيان: جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير، وهذا الكلام فيه مبالغة ففيه أشياء من التفسير كثيرة، وفيه فوائد ولطائف واستنباطات دقيقة وجميلة ولكن كيف تصل إليها مع هذا الكم الهائل من القضايا التي يذكرها ويناقش دائماً الفلاسفة والمعتزلة؟!، ويقول الحافظ ابن حجر في اللسان: وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها، يجيء بالشبهة مفتوحة -شبهة المخالفين- والرد يكون ضعيفاً هشاً، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبهة نقداً ويحلها نسيئة، ويقول الطوفي في كتابه "الإكسير في علوم التفسير" -وهو مطبوع أكثر كتاب الإكسير يعني في علوم القرآن لكن أكثر ما فيه قضايا لغوية وبلاغية-: وما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ومن تفسير الإمام فخر الدين إلا أنه كثير العيوب، فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرنياحي المغربي أنه صنف كتاب المأخذ في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج، يعني أدخل أشياء لا يقر عليها، وكان ينقم عليها كثيراً، ويقول: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين في غاية ما يكون في التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية الوهاء، قال الطوفي: ولعمري أن هذا دأبه في كتبه الكلامية، والحكمة، يعني كتبه في الفلسفة، حتى اتهمه بعض الناس، إلى أن قال: وقد صرح في مقدمته في نهاية العقول أنه مقرر مذهب خصمه تقريراً لو أراد خصمه تقريراً لم يقدر على الزيادة على ذلك، كما في كتاب لسان الميزان للحافظ ابن حجر، هذا اعتذر به شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الرازي، وهذا من إنصافه، والذين اتهموا الرازي قالوا: إنه قصد الدس في الدين بهذه الطريقة، يورد شبه المخالفين قوية، والرد يكون ضعيفاً؛ لخلخلة قناعة القارئ في الدين، ورد عليهم شيخ الإسلام معتذراً له قال: إنه لشدة حرصه على إنصاف المخالف يستنفد كل الجهد بحيث لا يبقي للمخالف أدنى شيء يمكن أن يستدل به إلا وذكره، فيكون قد أجهد فإذا جاء الرد تكون قوته قد استنفذت وتعب فيكتب كتابة ضعيفة، ويورد أيضاً حتى المسائل الفقهية وهو على

مذهب الشافعي، وكذلك مسائل أصول الفقه، ومسائل النحو ويستطرد في ذلك، وفي قضايا البلاغة ويبالغ في كثير من الأمور حتى إنه قال: إنه يمكن أن يستنبط من سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة، ومن الاستعاذة عشرة آلاف مسألة، وهذا الكلام فيه مبالغة، وبدأ يذكر بعض النماذج والتطبيقات على الاستعاذة أو البسملة، والواقع أنه يبني هذه الأمور على بعض بحيث يخرج عن الكلام على الآية، ويقال إنه مر ومعه كوكبة من أتباعه وتلامذته على امرأة عجوز فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا الذي يعرف على وجود الله ألف دليل، فقالت: لو لم يكن في قلبه ألف شك لما عرف عن وجود الله ألف دليل، بمعنى أن وجود الله لا يحتاج إلى ألف دليل،

وليس يصحُ في الأذهان شيءٌ *** إذا احتاج النهارُ إلى دليل

وله كتب كثيرة منها كتب في السحر ومخاطبة النجوم، وكتب -نسأل الله العافية- لكن له وصية كتبها لأولاده، يذكر فيها رجوعه عن العقائد الباطلة إلى عقيدة الحديث والسنة والقرآن وإثبات ذلك وكذا، كلام جيد للغاية في وصيته لأولاده، فلعل الرجل رجع وإن كان لم يكتب كتباً ينقض فيها هذا الكم الهائل الذي تركه من المؤلفات وفيها ما الله به عليم، فتفسير الرازي لا يقرأ فيه إلا من كان يميز بين الحق والباطل، ومن الكتب أيضاً كتاب "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" لنظام الدين الحسن بن محمد أحمد بن الحسين القمي النيسابوري، المتوفى سنة 728هـ، وهو مطبوع، وكبير أورد حاصل كلام الرازي وزاد عليه من الكشاف وغيره، وأورد القراءات المتواترة أو المعتبرة، فهذا الكتاب يوجد فيه اللطائف والأشياء التي هي من الرازي حيث أورد حاصل كلام الرازي، وترك أشياء كثيرة مما ذكره الرازي، لكن زاد عليهم من الأمور الواضحة في الكتاب زيادة التفسير الإشاري الصوفي، وبعد أن يذكر التفسير المعروف يضع عنواناً يؤخذ من إشارة الآية ويأتي بتفسيرات الصوفية، ومن الكتب التي استفادت من الرازي كتاب "اللباب من علوم الكتاب" لابن عادل الحنبلي، وهو في القرن الثامن تقريباً الهجري، ذكر أنه جمعه من علوم القرآن، وهو ينقل من الزمخشري والرازي وقد لا يسميه أحياناً يقول: قال بعضهم، وتارة دون عزو أصلاً، والكتاب طبع أخيراً لكن كان مخطوطة له نسخ خطية بعضها واضح مثل المطبوع، وتوجد بعض اللطائف والأشياء الجميلة في الكتاب، لكن عند المقارنة تجدها مأخوذة من تفسير الرازي.

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات في كتب التفسير (٤)

تتمة التعريف بكتب التفسير

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

لا يوجد كتاب من كتب التفسير يخلو من ملاحظة لا تفسير ابن جرير، ولا تفسير ابن كثير، فكل كتاب لابد فيه من نقص، وكل متكلم لو كتب لوجد في كتابته من العيوب والنقص الشيء الكثير، والله يحب العدل والإنصاف، والماء إذا بلغ القلّتين لم يحمل الخبث، والشوكاني -رحمه الله- في تفسيره خالف السلف -رضي الله عنهم- في جملة من الصفات مثل تفسير اليد والنفس والفوقية والمكر، وأيضاً في كلامه على صفة الرضا والمحبة، وكلامه على اسم الله الودود، والعجيب أن الشيخ حمد العتيق -رحمه الله- له رسالة كتبها للشيخ صديق حسن خان رسالة لطيفة، رسالة يعني يثني عليه وعلى كتابه فتح البيان ويقول: إنه لما وقع في أيدينا كالمطر الذي وقع على الأرض العطشى، ولطالما انتظرناه وتلقفناه فقرأناه من أوله إلى آخره، ولكن وقفنا فيه على أشياء استغربناها، ولعل الطلاب والتلاميذ استعجلوكم في إخراجه فإنه من عادة أهل العلم أن يحبسوا الكتاب عندهم سنين ثم بعد ذلك يعيدون النظر فيه مرة بعد مرة، وينقحونه ثم يخرجونه، أو لعلكم أحسنتم الظن في بعض من نقلتم عنه، والواقع أن صديق حسن خان دخلت عليه هذه الأشياء مع أن صديق حسن خان من أكبر المنافحين عن عقيدة أهل السنة، والدعوة إلى منهج السلف الصالح في القارة الهندية، فدخلت عليه هذه الأشياء من تفسير الشوكاني لنقله من فتح القدير، فالبيئة التي يعيش فيها الإنسان لها أثر كبير عليه، ولذلك تجد جملة من المتأخرين من الحنابلة في بلاد الشام عندهم أشياء في القضايا الكلامية، وتجد عندهم أشياء صوفية حتى من ألف في الاعتقاد لم يستطع أن يتخلص منها في بعض العبارات، والكمال لله -عز وجل-، واختصرالكتاب الشيخ محمد الأشقر في "زبدة التفسير"، وهذا المختصر نفع الله به نفعاً كبيراً، وسد ثغرة حيث كان الناس عالة على تفسير الجلالين، والعامة لا يميزون في قضايا الاعتقاد، وتفسير الجلالين جيد إلا أنه في جانب الاعتقاد على عقيدة الأشاعرة، وقد تخلص من هذه القضايا المتعلقة بالاعتقاد الموجودة في تفسير الشوكاني، فالعقيدة فيه سليمة ولا إشكال، ومن ناحية الصياغة والاختيار معروف أن العلماء والسلف يفسرون الآية بالمثال، ويفسرون بالمعنى، والأكمل والأفضل أن تصاغ العبارة بطريقة تشمل الأقوال التي يذكرونها بحيث تكون عبارة ضافية تستوعب هذه المعاني التي عبروا عن بعض منها، وتجدها في بعض الآثار المنقولة عنهم، والمختصر لم يراعِ هذا الجانب تماماً، فكان يختار بعض العبارات ويعتمدها، وهذه العبارة تعبر عن جزء من المعنى ومعنى الآية أوسع من هذا، فالمختصر لم يراعِ هذه القضية، ولذلك عبارة الكتاب أدق وأفضل وأضفى في المعنى، والكتاب يحتاج إلى إعادة صياغة، وكنت كتبت ورقات في هذا للمؤلف لكن قدر الله -عز وجل- أنها لم تصل إليه، وقد أكون مخطئاً في أن ما لا يقل عن سبعين بالمائة يحتاج إلى إعادة صياغة بالطريقة التي ذكرتها، بخلاف التفسير الميسر طبعة مجمع الملك فهد -المصحف-

في المدينة فإنهم راعوا هذا الجانب تماماً، وهذه من أفضل المزايا في هذا الكتاب عبارة ضافية مع أنهم اعتمدوا بالدرجة الأولى على كلام ابن كثير، وعبارة ابن جرير، وابن سعدي هذا ملاحظ لمن تتبع الكتاب وقارنه بالكتب الأخرى، بل يعبرون أحياناً بنفس عبارة ابن كثير، وأحياناً نصاً بعبارة ابن جرير، أو عبارة ابن سعدي، ثم اختصر زبدة التفسير بمختصر أكثر اختصاراً أشبه بالكلمات اسمه "نفح العبير في اختصار زبدة التفسير" في كتيب، وهو سد ثغرة، لكن كتاب التفسير الميسر أفضل منه وإن كان فيه اختلاف بعض الشيء، فتفسير الميسر له صبغة التفسير الإجمالي مع مراعاة المعاني الغريبة أو الألفاظ الغريبة، فتجدها في ضمن الكلام تفهمها، بينما زبدة التفسير ليس من هذا القبيل وإنما هو مختصر يختار قولاً واحداً، ومن الكتب البحر المحيط لأثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي المتوفى بمصر سنة ٧٤٥هـ، وطريقة المؤلف في هذا الكتاب أنه يكثر ويتوسع في القضايا النحوية، ولهذا هذه السمة بارزة في الكتاب حتى عُد كتابه من الكتب التي تعنى بالإعراب والنحو، مع أن كتابه لا يقتصر على الإعرابات بل يذكر غيرها، فيذكر المعاني اللغوية، والبلاغية، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ويوجه القراءات بل يذكر حتى الأحكام فهو كتاب تفسير إلا أن الصنعة الغالبة عليه هي النحو، والرجل كان من العلماء الكبار من أهل الاختصاص في النحو حتى إنه كان يعظم سيبويه ويحبه محبة شديدة، ولما قدم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى مصر احتفى به وكان يعظم شيخ الإسلام ويحبه وبهره سعة اطلاع شيخ الإسلام، وعلو شيخ الإسلام وجرت بينه وبين شيخ الإسلام مناقشة في مسألة في النحو، ومعلوم أن شيخ الإسلام ينتقد سيبويه في كتابه الكتاب في مواضع وينتقد النحاة عموماً في أشياء كثيرة، له آراء في النحو، والشاهد أن أبا حيان قال لشيخ الإسلام: هذا كلام سيبويه فغضب شيخ الإسلام وكان فيه حدة -رحمه الله- فقال: وهل سيبويه نبي النحو؟ في كتاب سيبويه أكثر من ثمانين خطأً لا تعرفها أنت ولا سيبويه، فغضب أبو حيان وكان هذا سبباً للوحشة والجفوة بينهما، وعظم ذلك عليه، وكتاب البحر المحيط ينقل عن ابن عطية والزمخشري ويناقشهما، وينقل كثيراً عن ابن النقيض من كتاب له اسمه "التحرير والتحذير لأقوال أئمة التفسير"، والكتاب مطبوع في بعض الطبعات ثمانية مجلدات، فهو كتاب من كتب التفسير لكنه يُعنى بالدرجة الأولى بما يتعلق بالإعراب، والذي يريد أن يرجع إلى القضايا النحوية والإعرابية فهذا من الكتب التي تتوسع في هذا الجانب، وهناك كتاب آخر جاء بعده هو كتاب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسمين الحلبي أحمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٥٦هـ، وهذا الكتاب مؤلفه معاصر لأبي حيان، لكن هذا الكتاب أوسع بكثير من كتاب أبي حيان، فتجد مثلاً قضايا الإعراب إذا رجعت إلي إعراب آية في كتاب أبي حيان قد تجد الوجهين والثلاثة ونحو ذلك في إعرابها، وإذا رجعت إلى الدر المصون تجد سبعة أوجه، أو ثمانية أوجه، يعني ما ذكره أبو حيان وزيادة، حققه الدكتور أحمد الخراط، بتحقيق جيد، وطبع في أحد عشر مجلداً مع الفهارس، وكثير من القضايا بالنسبة للإعرابات توجد فيه بتوسع وتجد فيه القراءات وتوجيهها وفيه المعاني اللغوية، وهذا الكتاب يعنى بقضايا الاشتقاق، وما يتصل بأصول الكلمات، وما ترجع إليه مما يتعلق بعلم التصريف، فالكتاب مفيد من هذه الناحية حتى إن المحقق جمع كثيراً من القضايا مما يتصل بالإفراد والإعلال في الكلمات، يعني

مثل آية يقول أصلها أَيَيَة، ثم يذكر كيف وصلت بمراحل إلى أن صار ينطق بها، فيقال: آية، في الأفعال وفي الأسماء، فجاء محقق واقتنص هذه الأشياء من الكتاب وطبعها في كتاب مفرد في مجلد قسمه إلى قسمين الأسماء والأفعال، موجود بعنوان "مفردات الإبدال والإعلال" والواقع أن هذه الأشياء هي من كتاب "الدر المصون"، لكن هذا الكتاب مفيد جمعها في موضع واحد، وكثير من الكلمات إذا أردت أن تعرف أصلها تجدها فيه، فهو من الكتب المفيدة جداً على اختصاره إلا أنه في غاية الدقة والإتقان والجودة، وكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جوزي الكلبي المتوفى سنة ٧٤١هـ، وهذا كتاب عظيم والعجيب أنه غير مشتهر، وربما أنه لم يشتهر عبر القرون؛ لأن المؤلف في بلاد الأندلس والكتب في تلك الناحية قد لا تنتشر في بلد المشرق كثيراً، ولكن حتى بعدما طبع ووصل إلى آخره لا تجد لهذا الكتاب حفاوة عند أهل العلم في الجامعات أو في المساجد على عظمة هذا الكتاب ودقته وقوته ومتانته في علم التفسير والله -عز وجل- يخلق ما يشاء ويختار، لم يكتب له الانتشار، مع أن هناك كتباً كثيرة انتشرت لا تدانيه ولا تقاربه، وهذا الكتاب طبع في مجلد وفي بعض الطبعات في مجلدين، وفي بعض الطبعات في أربعة مجلدات، وجميع الطبعات سيئة ومحرفة وسقيمة، وهذا الجامع المشترك فيها، فالذي يقرأ في هذا الكتاب يعاني من الأخطاء الطباعية على كثرة مخطوطات الكتاب في العالم، غلط في فهارس المخطوطات، كتب مخطوطات كثيرة جداً في تركيا، وفي بلاد المغرب، وفي تونس مخطوطات كثيرة لهذا الكتاب حتى في أوروبا ومع ذلك لم يُعتنَ بالكتاب، وسمعت أن أحد طلبة العلم قام بتحقيقه بنفسه من غير رسالة علمية، وبعض هذه المخطوطات لربما كانت في عصر المؤلف أو قريباً منه، وذكر في أوله أربعة مقاصد من أجلها وضع الكتاب، و يهتم باختصار العبارة، وذكر خلاصة ما في كتب التفسير بأقصر عبارة مع ذكر ما يحتاج إليه من النكات واللطائف، والفوائد، والمُلح على اختصاره، فهذه الأشياء موجودة في الكتاب مع أنه ملخص بعبارة دقيقة يزن فيها الحرف، اشتمل على خلاصة كثير مما يذكر في كتب التفسير بأدق عبارة؛ ولذلك إذا أردت أن تعرف قدر هذا الكتاب انظر في المواطن المشكلة في كتب التفسير عن تفسير بعض الآيات، واقرأ ما شئت من كتب التفسير ثم بعد ذلك أقرأ عبارة هذا الكتاب في ربع سطر أو في سطر يأتي في عبارة على محزٍّ، عبارة دقيقة تعبر عن المراد وتخلصك من الإشكال، والمؤلف لا يقتصر على قول واحد -على اختصاره- ويذكر بعض الأقوال منها ما ينسبه، وفي كثير من الأحيان لا ينسب القول، فيقول: وقيل، يحاول أن يتخلص مما يذكر في كثير من كتب التفسير على أنه أقوال وهو في الواقع من خلاف التنوع، فلا يذكر ذلك من الخلاف وهذه مزية في الكتاب؛ لأن هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، فهذا عبر بمثال وهذا عبر بمثال، أو هذا عبر بجزء من المعنى، وهذا عبر بجزء من المعنى، والمعنى يرجع إلى شيء واحد فيعبر بعبارة تكفي عن الجميع، ولا يُعِد ذلك من الخلاف ولا يريده، وذكر جملة من العلوم التي تضمنها القرآن، وبناء عليها سيركز على هذا في التفسير، فذكر مقدمات في أول الكتاب نافعة جداً، ومختصرة تصلح أن تكون متناً يدرس، فهي مقدمة دقيقة ومفيدة، والكتاب على قراءة نافع، ثم يذكر من القراءات الأخرى ما يكون فيه فائدة في المعنى أو الإعراب، أما إذا كانت القراءة ترجع إلى نفس المعنى فإنه لا يذكرها وهذا جيد، يعني

من القراءات ما يرجع إلى معنى واحد، كذلك القصص لا يورد منها إلا ما يتعلق به التفسير، ولا يذكر من ذلك إلا ما صح عنده من القصص، ولا يذكر من قضايا الإعراب إلا ما تدعو إليه الحاجة فقط، مع ذكر نكات بيانية ولطائف بلاغية، وفي الكتاب أشياء تربوية وقضايا تتعلق بالسلوك، فعلى سبيل المثال يتكلم عن التقوى ويقول: للتقوى خمس عشرة فائدة –مع أن الكتاب مختصر جداً– ويتكلم عن بواعث التقوى وهي عشرة، وهي أمور تدعو وتحمل الإنسان على التقوى، وكيف نصل إلى التقوى، ويذكر مثلاً فوائد الذكر في مناسبة من المناسبات يذكر ثمانية أنواع من الكرامة للصابرين، ويذكر أنواع الصبر أربعة، ومن هذه المعاني المراقبة مراقبة الله –عز وجل–، ثمرات المراقبة، درجات الخوف ومقاماته، ودرجات الرجاء ومقاماته، وكذلك شروط التوبة وآداب التوبة، ومراتب التوبة، والبواعث إلى التوبة، وبعض اللطائف الجميلة يعني عبر بكذا لأجل كذا، ويذكر بعض المُلح والنكات يعني مثلاً فائدة في التعدية بـــ"على" في قوله: {وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} [سورة آل عمران:٨٤]، والتعدية بـــ"إلى" في قوله {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} [سورة المائدة:٥٩]، وهذا يسمى بالمتشابه اللفظي، وكذلك وجه قوله في قصة هود {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ من قَوْمِه} [سورة هود:٢٧]، بينما قال قبل ذلك في خبر نوح –صلى الله عليه وسلم–: {قَالَ الْمَلأُ من قَوْمِه} [سورة الأعراف:٦٠]، ولم يقل: "الذين كفروا من قومه"، وما وجه التعبير في قوله: {إِمَّا أَن تُلْقِيَ} [سورة الأعراف:١١٥]، حيث عبر السحرة فيما نسبوه إلى موسى –صلى الله عليه وسلم– بالفعل {إِمَّا أَن تُلْقِيَ}، وفيما نسبوه إلى أنفسهم {أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ}، فلم يعبروا بالفعل، يعني لم يقولوا: أو نلقي نحن؟، ووجه تعريف الحسنة وتنكير السيئة في قوله: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِه} [سورة الأعراف:١٣١]، {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} ولم يقل: السيئة، ووجه التعبير بالجملة الاسمية في قوله: {أَنْتُمْ صَامِتُونَ} [سورة الأعراف:١٩٣]، ووجه التعبير في قصة هود وشعيب –عليهما الصلاة والسلام– بقوله: {وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا} [سورة هود:٥٨]، وقال في قصة صالح ولوط –عليهما الصلاة والسلام–: {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا} [سورة هود:٦٦]، ولم يقل: {وَلَمَّا}، وقول يوسف –صلى الله عليه وسلم– حيث ذكر نعمة الله في إخراجه من السجن {إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} [سورة يوسف:١٠٠]، ولم يقل: من الجب، فلم يذكر نعمة الله عليه في إخراجه من الجب، حيث إنه خرج من الجب إلى الرق، وخرج من السجن إلى الملك، فمثل هذه الدرر والتحف لو تطرح في درس تفسير تجد الناس يذوقون التفسير بطريقة أخرى، وكذلك أيضاً لطيفة في قوله تعالى: {وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ}: أنّ ترك البداوة نعمة وتحتاج إلى شكر، وفي قوله تعالى: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} [سورة الأنبياء:٣٣] يقول: هذا من الكلام الذي يقرأ بالمقلوب، وكذلك قوله: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [سورة المدثر:٣]، ويذكرون في هذا بيتاً من الشعر للفائدة، يقول الشاعر:

مودتهُ تدوم لكل هولٍ *** وهل كلٌّ مودته تدوم

فهذا يبين دقة العلماء، وعنايتهم بالقرآن حتى الكلمة التي يمكن أن تقرأ بالمقلوب أحصوها وعرفوها، فهو كتاب جليل مفيد وعظيم، وفيه كثير من القواعد، يعني مثلاً تكرير حروف الفعل يدل على تكرر معناه "زلزل" "صلصل" "جلجل" يتجلجل فيها، وقاعدة في السؤال المثبت في الآخرة أو المنفي، واستعمال اللفظ الواحد في معنييه ذكر فيه قاعدة إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فالمراد المستلذات، وإذا جاء ذكرها في

معرض التحليل والتحريم فالمراد الحلال هذه قاعدة، والاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة، والقَسم لا يكون إلا بمعظم، وكل ما قال الله فيه: وما أدراك فقد أعلم الله تعالى عنه نبيه -صلى الله عليه وسلم- قاعدة، وما قال فيه: وما يدريك فلم يعلمه، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل، كقوله: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} [سورة القارعة:١-٤]، فهذه نبذة عن هذا الكتاب، ودراسة هذا الكتاب تحتاج إلى فك عبارات فيه، عبارات متينة إلا إذا كان طلاب العلم عندهم خلفية فلا يُحتاج إلى الوقوف عند هذه الأشياء، وفي قضايا الاعتقاد لا تستطيع أن تقول بأن المؤلف على عقيدة المتكلمين ففي بعض المواضع وافقهم، وفي بعض المواضع يخالفهم، فلم يكن له طريقة محددة يمشي عليها، ومن كتب التفسير المختصرة كتاب اسمه "جامع البيان في تفسير القرآن" لمعين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسني الإيجي الشافعي المتوفى سنة ٨٩٤هـ، بمكة، هذا الكتاب اعتمد فيه المؤلف على المأثور، واعتمد على ابن كثير والبغوي والوسيط والنسفي والكشاف وشروح كالطيب وتفسير البيضاوي وغيرهم، وتوجد فيه إضافات من عنده، فقصد المؤلف التفسير على طريقة السلف في الاعتقاد ولكن قد يكون الإنسان في بيئة لم يستطع أن يتوصل إلى معرفة الحق في كل جوانب الاعتقاد، ولذلك تجد أشياء من التأويل، وتجد أشياء حتى في أول صفحة أمور تتعلق بالاستشفاع بجاه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعليه حاشية سلفية صرفة علق عليه الشيخ محمد بن عبد الله الغزنوي توفي ١٢٩٦هـ، من علماء الهند، خرج الأحاديث، واستعان بالدر المنثور، والتفسير الكبير، والبغوي في التعليقات، ولباب التأويل والوجيز، والإتقان، والجلالين، ومدارك التنزيل، والجَمل على الجلالين، والبيضاوي، وكتب ابن تيمية، وابن القيم، وصديق حسن خان، وهذه التعليقات تدور على إثبات الصفات على عقيدة السلف، ونقولات من كلام شيخ الإسلام وابن القيم، وهذه واضحة عند المعلق أيضاً إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فيركز على توحيد الإلهية، والاتباع وترك التقليد، ويُعنى بذكر المناسبات بين الآيات من غير تكلف، وكذلك تخريج المرويات، وتفصيل المجملات، وتصويب الأخطاء، والاستدراك على المؤلف، هذا الكتاب مطبوع طبعة هندية، ومطبوع أيضاً طبعة أخرى، ومن الكتب التي تميل إلى الاختصار تفسير الجلالين ولا مقارنة في الاختصار بين هذا وهذا، تفسير الجلالين، والمقصود بالجلالين جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، الكتاب ابتدأه جلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ ابتدأ بالفاتحة ثم النصف الثاني من التفسير من الكهف إلى الأخير، وجاء السيوطي وكمله يعني من البقرة إلى نهاية الإسراء وبنفس النفَس، فلا تستطيع أن تفرق بين الكتابين أن تقول هذا الذي كتبه المحلي أو كتبه السيوطي، والعجيب أن السيوطي وضع هذه التكملة في أربعين يوما، يذكرون معنى الآية التي يفهم من ظاهرها، ويختارون ما يعتقدون أنه أرجح الأقوال دون ذكر الخلاف، ويذكرون بعض الإعرابات التي يتوقف عليها المعنى والقراءات المشهورة، والكتاب مختصر جداً، ولذلك كثر تدريسه، وعليه حواشٍ، والاعتقاد على طريقة الأشعرية، لكن هناك من كتبوا استدراكات عليه، وأشمل هذه الاستدراكات من أوله إلى آخره الحاشية التي وضعها -في الطبعة التي طبعت مع الحاشية- الشيخ صفي الدين المباركفوري الذي هو مُختصِر ابن كثير، والكتاب يحتاج إلى تعليقات في العقيدة، ويحتاج إلى تعليقات

في التفسير، ويحتاج إلى تعليقات في قضايا حتى فيما يتعلق بالأحكام؛ لأنه يشير إلى إشارات بسيطة من كتب التفسير ككتاب "تفسير القرآن الحكيم" المسمى بـــ "تفسير المنار" للشيخ محمد رشيد رضا، وهذا الكتاب بدايته كان الشيخ محمد رشيد رضا قد طلب من شيخه محمد عبده أن يلقي شيئاً في التفسير فبدأ الشيخ محمد عبده يلقي درسه في الأزهر منذُ سنة ١٣١٧هـــ وانتهى سنة ١٣٢٣هـــ، حينما توفي حين بلغ الآية (١٢٥) من سورة النساء **{وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا}** [سورة النساء:١٢٦]، فكان الشيخ محمد رشيد رضا يكتب الكلام الذي يسمعه من شيخه ثم بعد ذلك ينقحه ثم يقرؤه عليه فإذا أقره عليه نشره في مجلة المنار، ثم أحياناً يضيق الوقت فيكتفي هو بصياغته في مقاطع أو نحو هذا، ثم بعد ذلك استقل بالتفسير بعد وفاة شيخه وصار يكتب على نفس المنوال، وبنفس النسق تقريباً، وتفسير الشيخ محمد عبده مليء بالأمور العقلانية، والانحرافات العقدية عقائد الأشاعرة إضافة إلى النزعة المادية والعقلانية في الكتاب، يعني يفسر الأمور الغيبية مثلاً قوله: **{طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ}** [سورة الفيل:٣-٤]، فيقول: هذا البعوض ينزل على المستنقعات ويأخذ من طينها فتكون فيه الجراثيم التي هي الملاريا فتصيب هؤلاء الناس من البعوض "الطير الأبابيل" هو يريد أن يأتي بتفسير يتفهمه ويتقبله الماديون الذين لا يؤمنون بالغيب، بل فسر الملائكة بمعانٍ عجيبة: أنها من الأشياء الطيبة، أو الأرواح، أو الأعمال الخيّرة في العالم، وفسر الشياطين بالشر الموجود، حتى قصة آدم وإبليس جعلها من قبيل ضرب المثال في الصراع بين الفضيلة والخير والشر، وهذا كلام سيئ جداً، والمؤلف الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة الشيخ محمد عبده تغير كثيراً بحيث صار يميل إلى عقيدة أهل السنة ويقررها إلا أنه لا زال عنده بعض النزعة مما أخذه عن شيخه محمد عبده، ويعظمه ويجله غاية الإجلال حتى إنه ألف فيه أربعة مجلدات بعد وفاته "حياة الشيخ الإمام"، وكتاب الشيخ محمد رشيد رضا لما تخلص من كثير من هذه الأشياء صار جيداً من ناحية ربط القرآن بحياة الناس، ومشكلات الأمة وقضاياها الكبار، وما تقوم عليه حضارتها، من هذه النواحي جيد، ولم يكمل وإنما وصل فيه إلى اثني عشر مجلداً عند آية (٥٢) من سورة يوسف **{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}**، والله أعلم.

أهمية معرفة منهج المفسر:

قيمة الكتاب العلمية تعرف بمعرفة منهج المفسر، كما أن هذا سبيل إلى معرفة الفرق بين كتاب وكتاب سواء كان هذا الكتاب يعتبر إعادة كتابه والذي قبله هو امتداد له، أو أنه في نفس الاتجاه، أو أنه يتكلم على جوانب أخرى مثلاً، كذلك يبين لنا ما يمكن أن يُتقى ويُحترز منه بالنسبة لبعض الكتب، ونخرج من هذا ببعض الكتب وأنها حرية أن تقتنى وأن تقرأ، وأن يُبدأ بهذا الكتاب ثم هذا، وهذا الكتاب يصلح مرجعاً، وهذا الكتاب يصلح للمتخصصين وما شابه ذلك.

كيف يمكننا أن ندرس كتاباً من الكتب؟

أقول: هذا يمكن أن يتم بطريقة من عدة طرق:

الطريقة الأولى: أن نعمد إلى هذه الكتب التي كتبت عن كتب التفسير، كتب مناهج المفسرين، أو الكتب التي درست كتاباً بعينه، فهناك كتب كثيرة رسائل جامعية: فلان ومنهجه في التفسير، مثلاً ابن كثير ومنهجه في

التفسير، والشنقيطي في التفسير، ابن جرير الطبري ومنهجه، ولا تكاد تجد كتاباً إلا وقد كتب فيه سواء كانت هذه الرسائل مطبوعة أو موجودة على أرفف المكتبات وخزائن الكتب في الجامعات لم تطبع، فهذه الطريقة سهلة، يعتمد الإنسان على جهد قام به غيره فينقل هذه الصورة.

الطريقة الثانية: وهي أن يقرأ الإنسان مقدمة الكتاب وغالباً المؤلف في مقدمة الكتاب يقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، واخترت كذا ولم أرد كذا، وقصدت من تأليفه كذا، وإذا ذكرت كذا لم أقصد كذا، وما شابه ذلك يصف المنهج في الغالب الذي سلكه، ثم بعد ذلك لك أن تقرأ في التفسير ويمكن أن تكون قراءة خفيفة تسمى قراءة جردية، ثم بعد ذلك تبدأ تصف هذا الكتاب، يورد المعنى الإجمالي، ثم يورد بعده مثلاً الأقوال، ويورد تحت كل قول من قال به، من الآثار، ويورد الأحاديث المرفوعة مسندة مثلاً، والآثار غير مسندة، أو يورد الجميع بالإسناد، ومقل من الإسرائيليات، ويذكر قضايا الناسخ والمنسوخ، ولا يذكر من القراءات إلا المتواتر، وهذا كله من خلال ما تجد، وما يمر بك في ثنايا الكتاب، فهذا لا يعتبر منهجاً علمياً سواء كان في الأول، أو في الثاني، وسواء كنت تقرأ لغيرك أو كنت تستعرض الكتاب تقرأ المقدمة ثم بعد ذلك تقول رأيناه يفعل كذا، ويفعل كذا، ويفعل كذا، لكن هذه طريقة ميسورة وممكنة لكثير من الناس.

الطريقة الثالثة: أن نأتي وندرس هذا الكتاب دراسة تمحيصية علمية، فإذا قال المؤلف مثلاً: إنه لا يذكر الإسرائيليات نبدأ ننظر هل ذكر الإسرائيليات أو لا، وإذا قال المؤلف: إنه يعزو الأقوال إلى قائليها نستعرض الكتاب لنتأكد، وقد نجد أشياء كثيرة في الكتاب غير معزوة، ونعرف أنها من كلامه أو كلام غيره بمقارنة الكتاب بالكتب، وهذه من أبرز الطرق التي تتبين فيها قيمة الكتب العلمية، وقد يُعجب الإنسان بكتاب لما فيه من الفوائد واللطائف بل لربما سعى الإنسان بجهود كثيرة جداً حتى استطاع أن يصور مخطوطة من المخطوطات لما فيه من اللطائف والفوائد والنكات العلمية والبلاغية، وبعد تعب في الحصول عليه وبثمن باهظ، تبين بعد المقارنة أن جميع هذه اللطائف والفوائد والنكات وما أشبه ذلك مأخوذة من كتاب موجود ومطبوع، منقولة منه من غير عزو، وبعض الكتب لربما يصعب الحصول عليه، وسعره مرتفع، وهو كتاب كبير يحتل من المكتبة مكاناً واسعا، فإذا نظرت في هذا الكتاب ونظرت فيما يذكره وقارنته تجد أحياناً بعض الكلام المتين الجيد وفي غاية التنظير لكثير من القضايا، مع ربطها بالقرآن فتعجب به، وتقول: هذا المؤلف عنده قلم وعنده قدره على التنظير وعنده اطلاع واسع، وإذا قارنت أحيانا تكتشف أن كل هذه المقاطع الجميلة التي أعجبتك هي من كلام محمد رشيد رضا مثلاً في تفسير المنار من غير عزو، وهذا موجود فالأمر الذي من أجله تشبثتَ بالكتاب وأعجبت به تكتشف أن هذا ليس كلام المؤلف هذا كلام فلان، وباقي المعلومات الموجودة فيه معزوة لكتب مطبوعة، ولنأخذ مثالاً في غير التفسير فحينما نأتي نريد أن نطرح موضوعا مثلا نطلع على كل ما كتب فيه قبل طرحه، التفسير العلمي، أو الإعجاز العددي كما يسميه بعضهم، أو الإعجاز العلمي ونطلب من الإنترنت كل الأبحاث المكتوبة ثم بعد ذلك نبدأ ننظر فيها ونقارن، نكتشف أن الكثير منها مكرر، بل حتى الخطب حينما نأخذ موضوعاً مثلا الأمانة نطلب في الإنترنت الأمانة وتأتيك خطب كثيرة مكتوبة، وأبحاث، ومحاضرات مفرغة موجودة، فإذا قارناها نجد أن بعضهم ينقل من بعض نصاً، وفي كثير

من الأحيان من غير عزو، فتستبعد كثيراً منها لأن هذه أصلا منقولة عن تلك، وتلك منقولة عن غيرها وهكذا، فكتب التفسير كذلك، وبالمقارنة يتبين لنا كثيراً من هذه الجوانب، أضف إلى ذلك أن هذا النوع الثالث من الدراسة ينظر إليه بالمقارنة مع المصادر التي ينقل منها، ينقل روايات هل ينقل الروايات نصا أو يتصرف فيها؟، ينقل عن بعض أهل العلم قال فلان، هل نقل الكلام نصاً أو تصرف فيه؟، وهذا تتبين به الدقة العلمية للمؤلف، أحياناً نكتشف أن المؤلف يتصرف في الروايات ويتصرف في الكلام المنقول، فإذا قارنت يتبين لك، وأحيانا تظن أن المؤلف وقع على مصادر أصلية لم تصل إلينا؛ لأنه يقول: قال فلان، وقال فلان والكتب ما وصلت، وبالمقارنة يتبين أن عامة ما ينقله هو من فتح الباري للحافظ ابن حجر، فكل هذه النقولات منقولة بواسطة الحافظ ولا يقول: قال الحافظ فيما نقله عن فلان، وتعرف هذا أحيانا من بعض التفاوت والاختلاف أو التحريفات الموجودة في فتح الباري مثلا تجدها موجودة في هذا أن الحافظ ابن حجر لما نقل هذا الكلام لفلان من الناس عقبه بتعقيب فيأتي هذا المؤلف وينقل الكلام وتعقيب ابن حجر في سياق واحد ولا يقول قال الحافظ، على أنه من الكلام الأول الذي نقل عنه أبو شامة مثلا فأدخل هذا في هذا، فهذا موجود وليست أمثلة افتراضية، فهذه الطريقة هي أدق الطرق ولكن حينما تقارن تحتاج إلى الوقت، وهذا أمر شاق، وبعض الرسائل الجامعية تُطرى غاية الإطراء أثناء المناقشة من قِبل المشرف والمناقشين، والكتاب أحيانا في غاية الأهمية، ويقدر لك أن تقف على النسخ الخطية التي اعتمد عليها المحقق وتقارن فتمتلئ الصفحات بالملاحظات، وفي كثير من الأحيان يقول: في الأصل كذا وهو خطأ والصواب كذا، وفي الأصل على الوجه الصواب، وأحيانا يكون هو الذي فهم فهماً غير صحيح وكتب وهو خطأ ولا فهِمَ العبارة وهذا كثير في بعض الكتب التي هي في غاية الأهمية، ما لا يقل عن خمسة عشر خطأً في الصفحة الوحدة، وهؤلاء –أعني المناقشين– لو أنهم رأوا ذلك ما أجيزت الرسالة، ولا تبرأ بها الذمة، كيف وقع هذا؟، هذا يعرف بالمقارنة، لكن لو يقرأ الإنسان قراءة مجردة كثير من هذه الأشياء ما تتبين، وإنما تظهر بالمقارنة، فهذه عدة طرق نستطيع من خلالها أن نعرف طريقة المفسر، ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلفين في التفسير ليسوا على طريقة متحدة فمنهم من عمد إلى الاختصار، ومنهم من كتب كتاباً متوسطاً، ومنهم من كتب كتاباً مطولاً، فابن جرير من المطولات، والبغوي أو البيضاوي يعتبر من الكتب المتوسطة، ومثل كتاب ابن جوزي الكلبي يعتبر من الكتب المختصرة، والكتب المختصرة منها ما يذكر القولين أو الثلاثة على سبيل الاختصار يشير إليها، ومنها مالا يذكر إلا قولاً واحداً مثل تفسير الجلالين، وزبدة التفسير فهذه تقتصر على قول واحد، وهؤلاء الذين يذكرون الأقوال منهم من يرجح مثل ابن جرير، وابن كثير في الغالب، ومنهم من لا يرجح، وإنما يذكر الأقوال من غير ترجيح، والذين يقرءون أو يريدون القراءة يسألون ماذا نقرأ في التفسير هؤلاء يتفاوتون، فمنهم من يكون مبتدئاً فهذا تصلح له بعض الكتب مثل التفسير الميسر طبعة مجمع الملك فهد، وزبدة التفسير، ويمكن أن يكون تفسير ابن السعدي، ومن هؤلاء من هو متوسط في العلم فمثل هذا يمكن أن يقرأ تفسير البغوي، والمصباح المنير للمباركفوري مختصر تفسير ابن كثير، ومنهم من يكون فوق ذلك فهذا يستطيع أن يقرأ في "التحرير و التنوير" لابن عاشور، وتفسير ابن جرير الطبري، ويستطيع أن

يقرأ في تفسير ابن جوزي الكلبي هو مختصر جدا وعبارته قوية ومتينة وتحتاج إلى شرح كثير، والقارئ أحياناً يريد أن يقرأ في جانب من الجوانب كأن يريد مثلاً أن يقرأ تفسيراً يشمل الجوانب المختلفة في كتاب واحد يمكن أن يقرأ في فتح القدير، فالشوكاني وازن بين جميع الجوانب تقريباً فتجد فيه ما يُحتاج إليه من إعراب وعقيدة وفقه ونواحٍ بلاغية، ومفردات، وقراءات ونحو هذا، وقد يقول القارئ أنا لا أريد كتاباً واحداً أريد مجموعة من الكتب تغنيني عن كثير من الكتب في التحضير أنا لا استطيع أن أحضر من عشرات الكتب في درس التفسير فيقال: في جانب المأثور ابن جرير وابن كثير، وتستفيد غاية الاستفادة من ترجيحاتهما، وفي الجوانب البلاغية ابن عاشور، وفي قضايا الإعراب الدر المصون للحلبي، وفيما يتعلق بالأحكام الفقهية القرطبي، وفيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن والأحكام "أضواء البيان" للشنقيطي، وتستفيد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يجمع له من التفسير، ومن كلام ابن القيم فهو في غاية النفاسة، درر مجتمعة وبهذا تستطيع أن تقدم شيئاً في التفسير من كتب هي عمدة في بابها، لو قرأتَ في الكتب التي وراءها ستجد كثيراً من المعلومات في الواقع مكررة في كثير من الأحيان، فلو قرأت في كتب التفسير بالمأثور ستجد الكثير من الآثار التي في ابن أبي حاتم وعبد الرزاق وغير هؤلاء هي في الجوانب البلاغية، والخلاصة والزبد والأشياء المفيدة ستجدها في ابن عاشور، وكذلك يقال في الأحكام الفقهية، وتفسير القرآن بالقرآن لن تجد مثل كلام الشنقيطي –رحمه الله– مع عناية ابن كثير في هذا الجانب، وإذا كان البحث في قضية العلاقة بين الآيات "المناسبات" مثلاً، أو ما يتعلق بقضايا الأمثال التي في القرآن، أو ما يتعلق بالجوانب البلاغية فيمكن أن نقول:

إذا كان المطلوب الآثار المروية في تفسير آية فأجمع ذلك "الدر المنثور"، ولكن بلا أسانيد، ويمكن الرجوع إلى ابن جرير وابن كثير والبغوي كل هذه الكتب بالنسبة للمأثور، وإذا كان المطلوب البحث في الجوانب اللغوية في غريب القرآن فهناك في الغريب كتب موسعة، وهناك كتب مختصرة، فمن كتب الغريب ما تأتي للفظة، ترجع إلى أصل المادة، بغض النظر عن الآية المعينة والسورة التي وردت فيها، مثلاً لفظة الإحصان، فيأتي بلفظة الإحصان ويأتي بمعانيها في كل موضع من المواضع، كما في قوله مثلاً: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}** [سورة النساء:٢٤] يعني: المتزوجات، أي يحرم عليكم في جملة ما يحرم من النساء المرأة المتزوجة، **{إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}** يعني إذا سبيتم نساء الكفار فالمتزوجة تستبرأ بحيضة ويحل وطؤها بملك اليمين **{إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ...}** إلى أن قال الله –عز وجل–: **{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}** [سورة النساء:٢٥]، يعني الحرائر الحرة، **{فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...}** إلى أن قال: **{فَإِذَا أُحْصِنَّ}** يعني تزوجن، **{فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ}** المحصنات يعني الحرائر، فلفظة المحصنات تتغير معانيها في كل موضع بحسبه، فالكتب المتوسعة تأتي بلفظة محصنات، وتأتي بمعانيها في المواضيع المتعددة، يقول: **{الْمُحْصَنَاتِ}** بمعنى كذا، ومنه قوله تعالى كذا وكذا، وبمعنى كذا ومنه قوله كذا، وهكذا، والكتب الموسعة كتابان الأول "المفردات للراغب"، وهو أصلٌ في

هذا الباب، وجد له طبعة محققة تحقيقاً جيداً حققه الأستاذ: صفوان داودي، وهذا الكتاب يعتبر موسوعة في غريب القرآن، ويوجد كتاب آخر نظير لهذا الكتاب اسمه "كنز الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" للسمين الحلبي، صاحب كتاب "الدر المصون"، وهذا الكتاب مثل كتاب الراغب، ويمكن أن يُستغنى عن أحد الكتابين بالآخر، وغاية ما هنالك أنه استدرك على الراغب بعض المواضع قال: إنه أغفلها أو أن الراغب ذكر –نادراً– كلمة، يقول: ليست أصلاً في القرآن أو ليست على الأقل في القراءة المتواترة، وكتاب الراغب هو الأصل، وهناك كتب مختصرة تأتي بالسورة التي أنت فيها، فيأتيك باللفظة في الموضع المعين ويقول معناها كذا بكلمة، وهذه كثيرة مثل كتاب "غريب القرآن" للسجستاني، و"غريب القرآن" لليزيدي، وكتب الغريب مثل ما جمع من كلام ابن أبي طلحة وهو مطبوع، وكذلك أيضاً كتاب "العمدة في غريب القرآن" المنسوب لمكي بن أبي طالب، فهذه الكتب كثيرة مختصرة يستطيع الإنسان أن يقتني منها كتاباً ويقرأ القرآن في ختمة في شهر، ويرى كل لفظة غريبة ويحاول أن يحفظها، ولو أن طلاب التحفيظ في حلقات القرآن اعتُمد لهم كتاب من هذه الكتب ويطالبون بالحفظ أثناء حفظ القرآن لكان خيراً كثيراً، وكثير من طلاب العلم يجهلون بعض معاني الكلمات من قصار السور، بل وبعض الناس يسأل عن معنى كلمة فيجيب بأجوبة مضحكة وكأنه أعجمي لا يعرف اللغة، فمرة سئل رجل عن معنى "قِطنا" في قوله: **{رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا}** [سورة ص:١٦]، فقال: هو البس "القط"، أجاب بهذا رجل له وجاهة في قومه، وأجاب ببديهة عند الناس، وسألت مرة بعض الشباب عن معنى **{لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ}** [سورة المدثر:٢٩]، فقال: يعني تأخذهم وتلوحهم، هذا في لهجته تلوحهم تضربهم، يعني لواحة يتنفط الجلد من شدة الحرارة، وقيل: تلوح لهم من بعيد، يرونها من بعيد، فإذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا، وهناك من جمع بين بعض هذه الكتب مثل كتاب "المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم" لعبد العزيز السيروان، جمع فيه بين كتاب "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة، وكتاب "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، ثم كتاب "معجم غريب القرآن" لابن عباس الذي جمعه الأستاذ فؤاد عبد الباقي –رحمه الله– من صحيح البخاري، وكتاب "العمدة في غريب القرآن" المنسوب لمكي بن أبي طالب، وهذا الكتاب مفيد جمع بين هذه الكتب الأربعة المشهورة ورتبها على حروف المعجم، وجعل لكل كتاب رمزاً، وهذه الكتب تعتبر من الكتب المهمة، وكتاب العمدة ولو لم يثبت أنه لمكي لكنه كتاب جيد ألفه عالم، فيأتي ويضع لكل واحد رمزاً من الرموز ويرتبه على حروف المعجم مثلاً كلمة صدف يضع الأحرف الصاد والدال والفاء "صدف" "الصدفين" يضع السورة ورقم الآية يقول قال البخاري: **{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}** [سورة الكهف:٩٦] يقال عن ابن عباس: الجبلين، ووضع رمزاً آخر "عمدة": جانبا الجبل، ناحيتا الجبل، صدف يصدفون "قتيبة": يُعرضون، يقال: صدف عني وصد أي أعرض "عمدة": يعرضون، فإذا قرأ فكأنما قرأ أربعة كتب من كتب الغريب، فهو مفيد وسهل التناول جداً، وإذا كان المراد قراءة معاني القرآن فهناك كتب مثل "معاني القرآن" للفراء، و"معاني القرآن" للنحاس، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج، فهذه من أشهر الكتب وهي مطبوعة جميعاً، ومن أعظم المعاجم اللغوية الجيدة والمعتمدة كتاب الأزهري "تهذيب اللغة" وهو كتاب ضخم وكبير

يعتبر من المصادر الأصيلة، قبل ما دخلته لوثات المتكلمين، ولوثات المتكلمين دخلت في كتب اللغة للأسف عند المتأخرين كـــ"لسان العرب" للأسف تجد فيه أشياء ليست في كتب المتقدمين، يعني لو أردت أن ترجع إلى كلمة "استوى" في "تهذيب اللغة" للأزهري ستجد المعاني التي يذكرونها علا وارتفع، لكن لما ترجع لكتاب لسان العرب ستجد معنى "استوى" استولى، ويستدل بقول الشاعر:

قد استوى بِشرٌ على العراق *** من غير سيفٍ ولا دمٍ مهراق

وكتب اللغة دخلتها هذه اللوثة، بخلاف كتب المتقدمين، ومن أبرز كتبهم وأنفعها كتاب "تهذيب اللغة"، وكذا كتب أحمد بن فارس -رحمه الله- فهي من أنفع الكتب، كتاب "المقاييس في اللغة" لأحمد بن فارس -رحمه الله- وسمي في المطبوع بـــ"معجم مقاييس اللغة" وهذه التسمية خطأ ليس هذا اسم الكتاب، وإنما سماه مؤلفه بـــ"المقاييس في اللغة" هذا مطبوع في طبعة خمسة مجلدات، وطبعة في مجلد، وله كتاب آخر اسمه "المجمل"، ومن أجل الرجوع إليها لابد من معرفة الطريقة لترجع إليها؛ من أجل أن تصل إلى الكلمة، فيحتاج إلى قراءة مقدمة الكتاب، وهناك كتب أخرى في اللغة، وهذه من كتب المتقدمين التي تعتبر مميزة وجيدة وموثوقة، ومن كتب التفسير التي تُعنى بالجانب البلاغي كتاب "الكشاف"، وعليه حواشٍ كثيرة منها حاشية الطيبي وهي كبيرة، ومنها تفسير البيضاوي وعليه حواشٍ كثيرة -أيضا-، منها حاشية الخفاجي، وتفسير الألوسي، وتفسير ابن عاشور، وتفسير أبي السعود وما شابه ذلك، والكتب التي تُعنى بالجوانب الإعرابية والنحو كثيرة منها "إعراب القرآن" للنحاس، و"مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب، و"الفريد في إعراب القرآن" للهمداني، و"التبيان في إعراب القرآن" للعكبري، و"البحر المحيط" لأبي حيان، و"الدر المصون" للحلبي وهو من أجمعها، وهناك كتب معاصرة منها ما هو سهل يعرب جميع الألفاظ مثل كتاب "الجدول" وهو معروف ومتداول في نحو ثلاثين جزءاً، وهناك كتب تُعنى بجانب الأحكام، وهناك كتب ألفت في الأحكام منها تفسير (٥٠٠) آية لمقاتل بن سليمان وهو مطبوع، وحقق في الجامعة الإسلامية، و"أحكام القرآن" للجصاص الحنفي، ومؤلف هذا الكتاب متعصب تعصباً شديداً للمذهب الحنفي، ولابن العربي المالكي كتاب "أحكام القرآن"، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي وهو من أجلها وأنفعها وأحسنها، وكذلك "أضواء البيان" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وهناك كتب أخرى مثل "نيل المرام من تفسير آيات الأحكام" لصديق حسن خان في جزأين، وسهل ومبسط، وهناك كتب تعنى بمبهمات القرآن، والمبهمات كالأشخاص في مثل **{وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ}** [سورة القصص:٢٠] من هو الرجل؟ أو مكان الكهف، والمدينة في قوله: **{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}** [سورة النمل:٤٨]، والأرض في قوله: **{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ}** [سورة المائدة:٢١]، هل هي أريحا أو بيت المقدس؟، إلى غير ذلك من أنواع المبهمات، والفائدة من معرفة هذا قليلة، ولو كان فيه فائدة لذكره الله -عز وجل-، لكن الفضول هو الذي حمل الناس على تتبع ذلك، وإنما تكون فائدته محدودة في بعض المواضع التي قد تدفع فيها تهمة على الأقل عن أحد من الناس كما قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حينما قال فيه مروان على المنبر: "هذا الذي قال الله فيه: **{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا}** [سورة الأحقاف:١٧] فقالت عائشة: والله ما نزلت

فينا، وما نزل فينا من القرآن غير عذري، ولو شئت أن أسمي من نزلت فيه لسميته"، فهذه تفيد في هذا الجانب، وهناك كتب تعنى بقضية المبهمات من أشهرها كتاب "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام" للسهيلي مطبوع، وهناك كتاب آخر اسمه "غرر البيان لمبهمات القرآن" لابن جماعة، وهناك كتاب آخر اسمه "تفسير مبهمات القرآن" للنابلسي توفي سنة ٧٨٢هـ، سماه "صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل"، وفيه كتاب اسمه "مفحمات الأقران في مفهمات القرآن" للسيوطي، وكتاب السهيلي التعريف والإعلام اختصره ابن عسكر المتوفى سنة ٦٣٦هـ، في كتاب "التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام" جاء بالأشياء التي ذكرها السهيلي وزاد عليها فاستدرك على السهيلي (٤٧٩) آية فيها مبهم، فهذه الكمية ليست قليلة، وكتاب النابلسي مطبوع في مجلدين كبيرين اسمه "صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل" فالإعلام للسهيلي، وتعريف الإعلام والتكميل لابن عسكر، وموضوع مشكلات القرآن فيه رسالة جامعية جيدة ومفيدة فيما يتعلق بالمشكل في القرآن يمكن الرجوع إليها والاستفادة منها وهي لعبد الله المنصور في مجلد، في قضايا المشكل في القرآن لماذا يستشكلها بعض العلماء من الناحية اللغوية، وأحياناً بأسباب أخرى، والعلماء كتبوا فيها كتابات يتتبعون المواضع المشكلة ويذكرون الجواب عنها، ومن هذه الكتب كتاب "وضح البرهان في مشكلات القرآن" لبيان الحق النيسابوري المتوفى سنة ٥٥٥هـ تقريباً، وكتاب آخر اسمه "فوائد في مشكل القرآن" للعز بن عبد السلام، وكتاب آخر اسمه "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" لزكريا الأنصاري مطبوع، وكتاب "تيجان البيان في مشكلات القرآن" للخطيب العمري، وكتاب "مشكلات القرآن" لمحمد أنور الكشميري مطبوع، والبحث في المتشابه اللفظي والمقصود به أن يرد الكلام الواحد في مواضع بصور متنوعة، مثلاً يأتي في موضع بنظم وفي آخر على غيره: **{وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ}** [سورة البقرة:٥٨] وفي الموضع الآخر: **{وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا}** [سورة الأعراف:١٦١]، وأحياناً يكون بالزيادة والنقصان كقوله: **{فَمَن تَبِعَ هُدَايَ}** [سورة البقرة:٣٨]، وفي موضع آخر **{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ}** [سورة طه:١٢٣]، وكذلك في **{تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}** [سورة البقرة:٢٥]، وفي موضع: **{تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ}** [سورة التوبة:١٠٠]، والتقديم والتأخير كما في: **{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}** [سورة البقرة:٤٧]، وفي الموضع الآخر: **{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}** [سورة البقرة:١٢٣]، وأحياناً بالتعريف والتنكير **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}** [سورة إبراهيم:٣٥]، **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا}** [سورة البقرة:١٢٦]، ويذكر اللطائف في هذا، وأحياناً من ناحية الجمع والإفراد "أياما معدودة" **{وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً}** [سورة البقرة:٨٠]، وفي الموضع الآخر **{مَّعْدُودَاتٍ}** [سورة آل عمران:٢٤]، وأحياناً يبدل حرفاً بغيره كما في قوله: **{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}** [سورة طه:١٢٨] وقوله: **{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}** [سورة السجدة:٢٦]، وقد يبدل كلمة بدل كلمة **{فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً}** [سورة البقرة:٦٠]، وفي موضع: **{فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}** [سورة الأعراف:١٦٠]، وأحياناً في الإدغام **{يَتَضَرَّعُونَ}** [سورة الأنعام:٤٢]، وفي الموضع الآخر **{يَضَّرَّعُونَ}** [سورة الأعراف:٩٤]، وهذا ما يعرف بالمتشابه اللفظي، وهناك كتب تُعنى

بالكلام على اللطائف المتعلقة بالمعنى، لماذا قال هنا كذا وقال هناك كذا، لكن هي محاولات لا يقطع بها، ومن هذه الكتب "البرهان في توجيه متشابه القرآن" للكرماني، المتوفى بعد سنه ٥٠٠هـ، وهذا الكتاب يستفاد منه لكن فيه تكلفات، وفيه غموض في العبارة، وهناك كتاب آخر اسمه "درة التنزيل وغرة التأويل" للإسكافي، وهذا الكتاب الغموض الذي فيه أكثر والتكلف الذي فيه أكثر، تكلم فيه على (٢٧٣) آية، والموجود في الكتاب الأول مضمن في غالبه في هذا الكتاب، وهناك كتاب اسمه "كشف المعاني في متشابه المثاني" لابن جماعة، وكتاب في مجلدين جيد مفيد اسمه "ملاك التأويل" لابن الزبير الغرناطي، تكلم فيه على (٣٧٧) آية، وبناه على كتاب الإسكافي وزاد على الإسكافي (١٠٤) آية، فهذا الكتاب يمكن أن يستغني به، وكتاب زكريا الأنصاري "البرهان" فيه من هذا النوع، وهناك كتب تعني بالمتشابه اللفظي لا من حيث المعنى فقط، بل تأتي بالآيات التي تتشابه باللفظ للحفظ، وهي كتب كثيرة معروفة ومتداولة منها ما توسع صاحبه فيه، وذكر أشياء قد لا تلتبس على كثير من القراء لكن ذكر أدني ما يحصل فيه التباس للحفاظ، ومنها كتاب من أقدمها "متشابه القرآن" لابن المنادي، وهناك كتب معاصرة من أحسنها كتاب "دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز" لسراج صالح، وهو من أفضل الكتب التي كتبت في هذا، ومن أسهلها تناولاً، وكتب الناسخ والمنسوخ كثيرة جدا من أبرزها وأحسنها وأنفعها كتاب "الناسخ والمنسوخ" للنحاس، وهو من أوسعها، لكن هؤلاء لا يتوسعون في ذكر النسخ، وهناك كتاب مسند يذكر الروايات والأسانيد وهذا يصلح لطلاب العلم، وفيه الصحيح والضعيف، وفيه أشياء ليست من قبيل النسخ في الواقع لكن عبر عن ذلك بالنسخ فضمنه كتابه في ثلاثة مجلدات، وتحقيقه في غاية الجودة حققه الدكتور إبراهيم اللاحم، وكذلك كتاب "نواسخ القرآن" لابن الجوزي في مجلد كبير حُقق في الجامعة الإسلامية، وكتاب "الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي بن أبي طالب مطبوع في مجلد محقق، وكتاب "الناسخ والمنسوخ" لأبي عبيد القاسم بن سلام، هذه أربعة كتب تعتبر عمدة في هذا الباب، ويمكن زيادة كتاب البغدادي لكنه لا يختص بالقرآن، بل يذكر الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة، وكتاب آخر معاصر يفيد في مناقشة قضايا ودعاوى النسخ، ودعاوى النسخ كثيرة جداً وأشهر الآيات التي قيل فيها النسخ هي إحدى وعشرون آية، ذكرها السيوطي في الإتقان ونظمها الشيخ الأمين الشنقيطي وعلق عليها وألحقت في آخر أضواء البيان تعليقاً يسيراً وهي التي ذكرها الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان"، الكتاب اسمه "النسخ في القرآن" للدكتور مصطفى زيد، أسرف في المناقشة ورد قضايا النسخ حتى إنه ما كاد يثبت شيئاً منها، والاعتدال هو المطلوب، لكنه مفيد في المناقشة وهو في مجلدين، ومن الكتب التي تبحث في أقسام القرآن كتاب "الإمعان في أقسام القرآن" لعبد الحميد الفراهي، وكتاب "أقسام القرآن" لابن القيم، مطبوع في مجلد، وهناك كتب تعنى بالمناسبات مثل كتاب "البرهان في تناسب سور القرآن" لأحمد بن إبراهيم الثقفي المتوفى سنة ٧٠٨هـ، وهو مطبوع في مجلدين، وهذا في المناسبات بين السور فقط، وهناك كتاب "تناسق الدرر في تناسب السور" للسيوطي، وكتاب "البرهان في ترتيب سور القرآن" لأبي جعفر ابن الزبير المتوفي سنه ٧٠٨هـ، وللسيوطي كتاب اسمه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" وهذا الكتاب محقق ويتكلم في المناسبة بين أول السورة وآخرها، فقوله مثلاً في أول السورة {ص

وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [سورة ص:١]، وفي آخر السورة: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} [سورة ص:٨٧]، وفي أول سورة الزمر قال سبحانه: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} [سورة الزمر:٢]، وفي آخرها {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} [سورة الزمر:٦٦]، وقال في أول سوره غافر: {أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [سورة غافر:٢١] وفي آخرها {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [سورة غافر:٨٢]، وفي أول سوره فصلت {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} [الآية رقم:٤]، وفي آخرها {أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [آية رقم:٥١]، فهذا جانب واحد من أنواع المناسبات، ومن الكتب التي تعنى بالمناسبات تفسير الرازي، ومنها تفسير أبي السعود، ومن أجمعها كتاب "نظم الدرر في تناسق الآيات والسور" للبقاعي، يقع في ٢٣ مجلد، وهو كتاب تفسير، لكنه يعنى بذكر المناسبة بين كل جملة وجملة، وكل آية وآية، وكل سورة وسورة، وكل مقطع ومقطع، فلا يترك شيئا، ويقول: إنه جمع كتابه هذا من عامة الكتب، بل يقول: إنه وقف على أجمع الكتب التي ألفت في هذا الجانب، وضمنها في كتابه، ولما انتصف بالكتاب عثر على كتاب في المناسبات فعاد من جديد يضمنه في كتابه هذا، لكنه لا يخلو من تكلفات في مواضع كثيرة، لكن يستفاد منه، فهو موسوعة في باب المناسبات، وللبحث في الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر، أي كلمة واحدة لها أكثر من معنى مثل لفظ "أمّة" {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [سورة يوسف:٤٥]، يعني بعد مدة من الزمن، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [سورة النحل:١٢٠] يعني: الرجل الجامع لخصال الخير التي تفرقت في غيره، {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} [سورة القصص:٢٣]، يعني: جماعة من الناس، وهكذا لفظة واحدة تأتي لعدة معانٍ، فهذا يوجد في كتاب مطبوع لمقاتل بن سليمان المتوفي سنه ١٥٠هـ في الأشباه والنظائر، وكتاب مخطوط لهارون الأعور، المتوفى سنه ١٧٠هـ، وهناك كتاب للمبرد اسمه "ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد"، وهناك كتاب "الوجوه والنظائر" للدامغاني المتوفي سنه ٤٤٧هـ، وضع له المحقق من عند نفسه عنوان "قاموس الوجوه والنظائر بالقرآن" وليس هذا هو عنوان الكتاب الأصلي، وهو مرتب على حروف المعجم، وتصرف في ترتيبه بأشياء، وكذلك "وجوه القرآن" لإسماعيل بن أحمد الضرير المتوفى سنه ٤٣٠هـ، مخطوط، و"تحصيل نظائر القرآن" للحكيم الترمذي، المتوفى سنه ٣٢٠هـ، وهو مطبوع، ومن أشهر الكتب في هذا كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن" لابن الجوزي، وهو كتاب متين وجيد ودقيق، ومن الذين ذكروا أشياء كثيرة من هذا القبيل الفيروزابادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز" مطبوع في حوالي سبعة مجلدات، أو ثمانية، وهناك كتب في القراءات السبع، وهناك كتب في القراءات العشر، وهناك في الأربع عشرة، وهناك كتب في الشواذ فقط، وفي القراءات السبع كتب مفردة، وفي القراءات العشر كذلك، مثلاً كتاب "المبسوط" لابن مهران، مطبوع في مجلد، وهو سهل التناول، وهو في العشر، وكتاب "النشر" لابن الجزري في القراءات العشر، وكتاب مكي بن أبي طالب في السبع، وهناك كتب تُعنى بالتوجيه مثل كتاب "الحجة للقُراء السبعة" لأبي على الفارسي، وكتاب "القراءات وعلل النحويين" للأزهري، وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات" لمكي بن أبي طالب، وكتاب "إعراب القراءات السبع وعللها" لابن خالويه، وكتاب "الحجة في القراءات" لأن أبي زنجلة مطبوع في مجلد واحد، وسهل التناول في توجيه القراءات الشاذة، وكتاب "المحتسب" لابن جني، وللبحث في الحروف العاملة مثلاً "في" تأتي بمعني "على" في قوله: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

جُذُوعِ النَّخْلِ} [سورة طه:٧١] أي: على جذوع النخل، وقوله: **{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}** [سورة الملك:١٦] أي: على السماء، فكل حرف من هذه الحروف يأتي بمعانٍ متعددة، وحروف تتناوب يسمون ذلك التضمين، وهناك كتب تعنى بهذا من أبرزها وأجمعها فيما وقفت عليه كتاب "الحروف العاملة في القرآن الكريم" لهادي بن عطية مطر الهلالي، وهذا الكتاب جمع الكلام على هذه الحروف من كلام اللغويين والنحويين والمفسرين، وجعل ذلك من كل واحد في باب مستقل، وهناك كتب أخرى بعضها متقدم كـــ" رصف المباني" للمالقي، وبعض الكتب تكلم عن حرف واحد، وبعضها تكلم عن ثلاثة أحرف، وللبحث في موطن تعارض الآيات التي ظاهرها التعارض يمكن النظر في كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وهو مطبوع في آخر أضواء البيان، ومطبوع ضمن المجموعة الكاملة التي طبعت للشيخ، وهناك كتب في فضائل القرآن مسندة، وكتب من غير إسناد، وهناك كتب تعنى بالصحيح، من الكتب المسندة "فضائل القرآن" لأبي عبيد القاسم بن سلام وهو من أنفع الكتب وأجمعها، وهو كتاب كبير حُقق في المغرب، وهذا من أفضل طبعاته كنسخة خطية لا الحكم على الروايات، في مجلدين، وعدد الروايات في هذا الكتاب (٩٢٧) رواية بالإسناد، وليس كل هذا في الفضائل، فهناك أشياء في الأدب مع المصحف، وأشياء لا تتعلق ببعض الآداب، وكتاب "فضائل القرآن" للفريابي، وعدد الروايات المسندة (١٩٧) رواية، وكتاب "فضائل القرآن" لابن الضريس المتوفى ٢٩٥هـــ، وهو مسند وعدد الروايات (٣٠٨) رواية، وهناك كتب لبعض المعاصرين اعتنوا بالروايات الصحيحة منها "موسوعة فضائل سور وآيات القرآن" للطرهوني، وهناك كتاب صغير في فضائل القرآن وحَمَلَته في السنة المطهرة لمحمد موسى نصر، لكن عامة ما في هذا الكتاب هو في الآداب، وفيه أشياء قليلة عن الفضائل، وهناك كتب تتحدث عن الدفاع عن القرآن ككتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، وكتاب كبير اسمه "الانتصار للقرآن" للباقلاني، فيه رد على الطاعنين في القرآن من الرافضة ومن النصارى، وله مختصر اسمه "نكت الانتصار" مطبوع في حوالي (٣٠٠) صفحة، وهناك كتاب "المدخل لعلم تفسير القرآن" للحدادي، تضمن الدفاع عن القرآن والرد على الزنادقة، والطاعنين في القرآن، وكتاب معاصر مفيد اسمه "دعاوى الطاعنين في القرآن" لعبد المحسن المطيري، هذه رسالة علمية في إحدى الجامعات، وللبحث عن تشبيهات القرآن فهناك كتاب جيد جمع كل تشبيه في القرآن اسمه "الجمان في تشبيهات القرآن" لابن ناقية البغدادي المتوفى سنة ٤٨٥هـــ، مطبوع لكن يبدو لي أنه غير منتشر ولا معروف، وللأسف المؤلف رُمي بالزندقة، وله أشعار –في ترجمته– وكلام كله زندقة، نسأل الله العافية.

وللبحث عن مقاصد السور، والغرض الذي جاءت السورة لتقريره فهناك كتاب "مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور" للبقاعي، ومن كتب التفسير التي تذكر موضوع السورة "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور، ومن الكتب التي تتحدث عن الأمثال في القرآن كتاب "الأمثال من القرآن والسنة" للترمذي، وكتاب "الأمثال الكامنة في القرآن" للحسين بن الفضل، والأمثال أنواع فهناك أمثال عند الأدباء، وأمثال عند اللغويين، والأمثال المعروفة بالمعنى المتداول هي الكلمة الموجزة التي قيلت في مناسبة ثم صارت تستعمل في المواقف المشابهة مثل: "الصيفَ ضيّعتِ اللبنَ"، وسبب هذا المثل أن رجلاً خطب بنتاً وهو غني عنده إبل وغنم وبقر

في الصيف فأبت، والصيف تكثر فيه الثمار، وجاءت إليه في الشتاء وقت الجوع والشدة تريد شيئا فقال: "الصيفَ ضيّعتِ اللبنَ"، كأنه يقول لها: حينما خطبتك بالصيف رفضتِ والآن تطلبين لبناً، الصيف ضيعت اللبن، وهذا يقال لمن طُلب منه شيء مثلاً فامتنع، ثم جاء بعد ذلك، أيْ موقفكِ الأول منعني من التجاوب معكِ في هذا الموقف، فمثل هذا لا يوجد في القرآن؛ لأن الله أعظم شأناً من أن يتمثل بقول قائل قاله في مناسبة ثم يذكره الله –عز وجل–، لكن يوجد نوع اسمه الأمثال الكامنة، يعني أن يكون هناك مثل "خير الأمور الوسط" هذا مثل كامن في قوله تعالى: **{لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}** [سورة البقرة:٦٨]، وكامن في قوله تعالى: **{وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}** [سورة الإسراء:٢٩]، فالمثل كامن فيه، ويوجد أمثال في القرآن فيها تصوير بعض الأشياء المعنوية بصورة المحسوس كقوله: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ}** [سورة البقرة:١٧]، وهناك كتاب منتزع من كلام ابن القيم في إعلام الموقعين طبع مستقلاً سمي "الأمثال في القرآن" لابن القيم، وهناك كتب تتحدث عن قضية الأمثال عموماً مثل: "ضرب المثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره" لعبد المجيد البيانوني، وهناك كتاب "الأمثال في القرآن" لمحمود بن الشريف، وكتاب "أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع" لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وغير ذلك من الكتابات، وهناك كتب عُنيت بأسباب النزول ومن أجمع هذه الكتب لو اكتمل كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني اسمه "العجاب في بيان الأسباب" لكن المؤلف –رحمه الله– مات عنه، فيه (٣١٩) أثر أو رواية، وصل فيه إلى آية (٧٧) من سورة النساء، وهذا الكتاب يتوسع ويناقش الروايات، فلو اكتمل لكان موسوعة، وقد طبع محققاً في مجلدين، وهناك كتب مسندة اشتملت على أشياء كثيرة جداً من أسباب النزول مثل كتاب الواحدي لكن فيه الصحيح والضعيف، أفضل طبعة له تحقيق السيد صقر، وهناك كتاب للسيوطي بحذف الأسانيد ويقول: إنه جمع فيه أكثر مما جمعه الواحدي اسمه "لباب النقول في أسباب النزول" لكن فيه الصحيح والضعيف، وقد حُقق في الجامعة الإسلامية وحكم على الروايات التي فيه منذ زمن، ولكنه لم يخرج فيما أعلم، وهناك كتب في هذا الموضوع لبعض المعاصرين مثل "المحرر في أسباب نزول القرآن" للدكتور خالد المزيني، وهو رسالة علمية جمعه من الكتب التسعة، طريقته مرتبة وجيدة ومنظمة، ويذكر رواية، ويذكر عناوين تحتها، ويتكلم على قضايا تتعلق بها، ويذكر الخلاصة، فهو كتاب جيد وتعليمي مفيد ويناقش هذه الأشياء هل هذه فعلاً أسباب النزول أو لا؟ فهو من أنفع الكتب لأسباب النزول، وهناك كتاب اسمه "الاستيعاب في بيان الأسباب" لمحمد موسى نصر، يقع في ثلاثة مجلدات، حاول أن يجمع الروايات لأسباب النزول الصحيح والضعيف لكن فات المؤلف بعض الأشياء، ويحكم على الروايات، وهناك من حاول أن يجمع الروايات الصحيحة فقط مثل "صحيح أسباب النزول" لإبراهيم محمد علي، مطبوع في مجلد، عدد رواياته (٣٢٤) رواية في أسباب النزول، وذكر (١٤٦) رواية مما لا يعد من أسباب النزول في نظره، وفيه أيضاً كتاب للشيخ مقبل الوادعي –رحمه الله– اسمه "الصحيح المسند من أسباب النزول" مجلد صغير، ذكر جملة من أسباب النزول الصحيحة لكنه لم يستوعب، وليس المقصود هو الاستقراء لكل الكتب إطلاقا، وإنما نذكر بعض الكتب، ولمعرفة أسماء السور، ولماذا سميت بهذا الاسم، وبعض كتب التفسير تُعنى

بهذا، وهناك كتاب صدر أخيراً في هذا الموضوع اسمه "أسماء سور القرآن وفضائلها" كتبته الدكتورة منيرة الدوسري، رسالة في إحدى الجامعات.

فهذه جوانب متنوعة أحببت أن أذكرها ولا أدعي أني استوعبت الكلام على كتب التفسير، ولا يمكن هذا، ولو أردنا أن ندرس كتاباً واحداً في دراسة تفصيلية لاحتجنا لوقت طويل، ويمكن أن يخرج الإنسان من هذا المجلس بتصورات ويكون عنده فكرة عن جملة من كتب التفسير، بحيث يتفتق ذهنه عن أشياء، هذا هو المقصود أما التتبع فطالب العلم يبحث وينظر ويقرأ ويقارن وهكذا، وهذا آخر ما أردت أن أذكره ونسأل الله -عز وجل- أن يغفر لي ولكم، ويعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وينفعنا وإياكم بالعلم، ويرزقنا وإياكم التقوى والإخلاص والمراقبة، ويغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا المسلمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله وفضله.